

مجلد ۱۰۰

راجی عنایت

المستقبل بین الشرق والغرب



دار الفکر

المستقبل بين الشرق والغرب

اغرب من الخيال
راجي عنايت

المستقبل بين الشرق والغرب

دار الشروق

صمم الغلاف : الفنان حلمى التونى

مُقَدِّمَةٌ

ما هي صورة العالم عند مطلع القرن القادم؟
أي أحداث جسام ستعاقب علينا، متسارعة، خلال السنوات الباقية
من هذا القرن؟
هل ستبقى خريطة العالم السياسية على ما هي عليه الآن؟، أين
ستنشب الحروب؟
وهل يصل الأمر إلى حرب نووية شاملة، خلال ما بقي من هذا القرن،
تفجر كل طاقات الدمار في العالم؟
هل ستبقى منطقة الشرق الأوسط على ما هي عليه الآن من عدم
استقرار؟
ودولة إسرائيل، التي يعتبرها علماء المستقبل أكثر دول الشرق الأوسط
عدم استقرار، هل يفقد الغرب حماسه لها، نتيجة لسياساتها العنصرية في
الأرض المحتلة، ومواقفها من الشعب الفلسطيني؟
هل ستصبح إيران أكثر الدول تعرضاً للصراعات والتقلبات في تسعينيات
هذا القرن؟. وهل تتوحد الدولتان الألمانيّتان عام ١٩٩٥، في دولة غير
منحازة، تشكل منطقة منزوعة السلاح النووي بين الشرق والغرب؟..

هل ستسقط حكومة الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا ما بين عامي ١٩٩٠ ،
و ٢٠٠٠ ؟ وهل ستصبح زمبابواي أكثر الدول الأفريقية استقراراً ؟ .
• ماذا تقول مؤسسات التمييز العلمي في العالم الغربي عن كل هذه
الأسئلة ؟

ثم ما هي رؤية علماء المستقبل في الدول الاشتراكية ؟ هل تتفق مع
رؤية علماء الغرب ؟ . وكيف يرى علماء الشرق جهود علماء الغرب في
هذا المجال ؟ . ولماذا يكون الاشتراكيون أكثر تفلاً بالنسبة للمستقبل ؟
يحاول هذا الكتاب أن يجيب عن هذه الأسئلة ، ويمهد لرؤية
أوسع ، تتناول المستقبل الشامل الذي ينتظر العالم في السنوات القليلة
القادمة ، والذي سيقب كل معاييرنا ومقاييسنا وعلاقاتنا الاجتماعية .

راجي عنايت

١٩٨٦

الفصل الأول

رؤية المستقبل . . .
معرفة وخيال

ترتكز رؤية المستقبل على عنصرين المعرفة والخيال . المعرفة وحدها تحبس العقل في إطار المعارف الراهنة دون القدرة على تصور العلاقات الكامنة بين عناصر هذه المعارف . والتي تسمح بمد الخطوط على استقامتها ، للتعرف من خلال ذلك على المستقبل في ضوء ما يمكن أن يحدث من تفاعل بين الظواهر المختلفة . أما الاعتماد على الخيال دون سند قوي من المعارف والمعلومات . فإنه يعطي على أحسن الفروض . ما يشبه أعمال الخيال العلمي .

أول محاولة ذات شأن لتقدير مستقبل الجنس البشري . على أسس علمية سليمة ، هي تلك التي قام بها «مالتس» ، منذ أكثر من مائة ومبشرين عاماً . بدأ مالتس بدراسة مفصلة لأحوال الفقراء بإنجلترا ، في الفترة التي أعقبت الثورة الصناعية مباشرة . وخرج من هذه الدراسة بنتيجة مؤاها أن الحالة سوف تصبح أسوأ بمرور الزمن . لأن مقدرة السكان على التكاثـر أعظم بكثير من قدرة الأرض على انتاج مقومات الحياة . قال إن عدد السكان يزد بمتوالية هندسية . بينما لا تتوافر مقومات الحياة بنفس المعدل . وقد اعتمد مالتس في بناء نظريته هذه على فكرة أن الوسيلة الناجحة لزيادة إنتاج الطعام هي زيادة الرقعة المزروعة من الأرض . وكان يرى أن الأرض المزروعة في إنجلترا ، في ذلك الوقت ، قد قاربت

الوصول الى حدها الأقصى.

أخطأ مالتس في تقديره. ولم تؤيد الأحداث وجهة نظره المتشائمة. فبعد مضي ما يقرب من مائة عام من نشره لنظريته في السكان، تحسنت الحالة الاقتصادية للفرد الانجليزي العادي بسرعة خاطفة، على عكس ما قدر. لقد كذبت الأحوال الاقتصادية في إنجلترا، في القرن التاسع عشر والعشرين، نظرية مالتس. كما أصبحت تقديراته حجة في يد الاقتصاديين. يقللون بها من أهمية المحاولات الحديثة لتقدير مستقبل البشرية.

يقول هاريس براون في كتابه المائة سنة القادمة «وحقيقة الأمر أن أخطاء مالتس الأساسية. لا ترجع الى الاستنتاج الخاطيء. بقدر ما ترجع الى عدم كفاية المعلومات التي توافرت لديه في ذلك الوقت».

إلا أن أخطاء مالتس لم تمنع البشر عن التفكير في المستقبل وتأمله. وربط أمانتهم بذلك المستقبل. وأصبحت دراسة مستقبل الحياة في القرن القادم. على أسس علمية. وبالاعتماد على أحدث الإمكانيات التكنولوجية. هي الشغل الشاغل للبشر في جميع أنحاء العالم تقريباً، شرقاً وغرباً. يحصهم على هذا ويشجعهم على المضي فيه، ما يواجهه عالم اليوم من مشاكل معقدة متشابكة

التكاثف العالمي

يقول العالم السوفييتي دكتور ليفان فرولوف في كتاب المشاكل العالمية ومستقبل الجنس البشري «لقد تشابكت مشاكل العالم، وتولدت

عنها مشاكل مركبة تؤثر على البشرية جمعاء. من أهم هذه المشاكل: تجنب العالم ويلات حرب نووية شاملة، وتأسيس الظروف التي تاعد على تطوير العلاقات الدولية على أسس سليمة، عن طريق التنمية الاجتماعية والاقتصادية لشعوب العالم. ثم التغلب على أكثر الظواهر العالمية وضوحاً في مجال الظلم الاجتماعي، نعني بذلك الجوع والفقر. كذلك ترشيد الاستفادة من الموارد الطبيعية على أسس عقلانية والوصول الى سياسة فعالة في مواجهة مشاكل السكان، وأيضاً وضع استراتيجيات شاملة للحفاظ على نظافة البيئة. وأخيراً، تنمية التعاون العالمي في مجال البحث العلمي، وتطبيق الانجازات العلمية على التكنولوجيا والتعليم والصحة.

ويضيف فرولوف قائلاً: «ومشاكل العالم. بحكم طبيعتها الخاصة، تستدعي تكاتفاً، ليس فقط على مستوى الدول والأقاليم، ولكن في نفس الوقت على المستوى العالمي الشامل».

الرمال الناعمة

سنحاول في هذه الدراسة أن نقدم صورة للحياة على الأرض، عند انتهاء القرن الحالي. ومطلع القرن الحادي والعشرين. ومع كل المشقة التي تتضمنها هذه المحاولة، فإننا قد أثّرنا أن نضاعف المشقة بمحاولة التركيز على الجانبين السياسي والاجتماعي.

وقد قمنا من قبل بمحاولة لرسم صورة المستقبل من خلال تطور العلوم

والتكنولوجيا، هي مجالات النقل والاتصال والتعليم والبيولوجيا والطاقة والتصنيع وذلك في كتاب «هذا الغد العجيب». ونحن في هذه المحولة نتقل من الأرض الثابتة للحقائق العلمية والتكنولوجية، إلى منطقة الرمال الناعمة حيث احتمالات الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحيث يدخل العنصر البشري كعامل من عوامل التأثير المباشر.

إذا فكرنا في احتمالات تطور الكمبيوتر مستقبلاً، تدخل في اعتبارنا عناصر مادية محدودة يمكن التعامل معها بدقة، لكن عندما نمكر في احتمالات تطور النظام في دولة ما، ولنكن الدولة العنصرية في جنوب أفريقيا، تشابك العناصر، ويدخل الانسان بكل أحلامه وقدراته ونزواته في صميم هذا التطور.

مما يؤكد هذا، أنا في الدراسة السابقة التي اقتصرت على مستقبل العلوم والتكنولوجيا، وجدنا ما يشبه التطابق في رؤية علماء المستقبل في الشرق والعرب. لكتنا هنا، إذا أردنا الوصول إلى صورة أدق للأوضاع في راية القرن القادم، يجب علينا ألا نقتصر على تبني رؤية علماء المستقبل في دولة معينة، أو أولئك العلماء الديور. يستمدون معارفهم من مجتمعهم الخاص، ويصيفون خيالهم بايديولوجية ذلك المجتمع.

فالملاحظ أن علماء المستقبل، مهما كان حرصهم على التزام الموضوعية في رؤيتهم للأوضاع الاجتماعية والسياسية عند مطلع القرن القادم، فهم رعم كل شيء يتأثرون - شعورياً ولا شعورياً - بفكر وعقيدة المجتمع الذي ينتمون إليه.

عالم المستقبل الأمريكي يرى أن الاتحاد السوفيتي سيواجه في المستقبل أياماً صعبة. وهو يرجع ذلك إلى أن الاتحاد السوفيتي يلتزم بسياسة التسابق على التسلح، على حساب الاستهلاك لدى المواطن. وأن هذا الالتزام يمتص دم الحياة من الاقتصاد السوفيتي عاماً بعد عام.

ومن ناحية أخرى يقول عالم المستقبل السوفيتي إن علماء المستقبل البرجوازيين، يرسمون صورة مستقبلية للتطور العلمي والتكنولوجي في بلادهم، ويعتبرون أن هذا التطور سيكون فيه العلاج الشافي لكل شرور مجتمعاتهم. ويقولون إن هذا التطور ستيح للرأسمالية أن تحظى بدفعة جديدة. تطيل من عمرها، دون أن تضطر إلى تغيير طبيعتها.

البشرية في بدايتها

شمولية النظرة إلى المستقبل هي الطريق إلى رؤية أفضل وأعمق وأدق. رؤية متفائلة تتجاوز المخاوف والمحاذير المحدودة. وفي هذا يقول الفين توفلسر في كتابه «الموجة الثالثة» أن العالم لا يتدفع نحو الجنون، وإنه توجد في حقيقة الأمر وراء قعقة وصلصلة الأحداث التي تبدو غير معقولة. أنماطاً مذهشة زاهرة باحتمالات الأمل... وهذا الكتاب يتوجه إلى أولئك الذين يعتقدون أن قصة البشرية، أبعد ما تكون عن الانتهاء، بل هي في بدايتها الأولى...!!

كذلك تظهر شمولية النظرة أن التغيرات التي نشهدتها اليوم في حياة البشر ليست عشوائية تحدث بالصدفة، بل هي مترابطة تخضع لمنطق عام.

وعالم المستقبل العاقل، يرى ذلك الترابط المتحقق بين مختلف المستويات، فيدرك الصلة بين تفتيت الذرة، وأزمة الطاقة العالمية، وشيوع العقائد الجديدة، وانتشار النيلفزيون السلكي، أو تليفزيون الكابل، وانتشار الحركات الانفصالية من كويك إلى كورسيكا. . يرى في هذه الظواهر وفي غيرها، ظاهرة أكبر، تمتد إلى مختلف نواحي كرتنا الأرضية كالموجة العارمة.

زمن التغير

من المشاكل التي تواجه الدارس لمستقبل الحياة على أرضنا، أنه يتعامل مع زمن جديد.

لقد فات الزمن الذي كنا نشب فيه، فنعمل ما يفعله الآباء. ونعيش حيث يعيشون، ونعتقد ما يعتقدونه، ونفكر بنفس الطريقة التي يفكرون بها. ذلك الزمن، الذي كان فيه الحاضر أرضاً صلبة لرسم صورة المستقبل. مصى ذلك الزمان المستقر، نتيجة لتسارع التطورات التكنولوجية، والريادة المطردة في معدلات التغير، بحيث بدا الأمر وكأن المستقبل يقبل علينا بسرعة أكبر يوماً بعد يوم، حاملاً معه المخاوف القائلة التي تؤكد لنا أن روتين حياتنا اليومي لم يعد روتيناً متكرراً، وأن الأمور فعلت من أيدينا بشكل خطير.

إننا نعيش زمن التعبير الذي لا ينتهي، الأمر الذي جعل القلق جزءاً لا يتجزأ من نسيج حياتنا الراهنة. إننا نشعر بالخوف مما يمكن أن تأتي به

الأيام، ومع هذا الخوف تتزايد حاجتنا إلى معرفة كل ما هو ممكن عن المستقبل.

وعلماء المستقبل في محاولتهم لتحديد صورة ذلك المستقبل، لا يعتمدون على البللورة السحرية، ولا على أبراج المنجمين، ولا على قراءة الكف أو ضرب الرمل. إن استقراء المستقبل يحتاج أكثر ما يحتاج إلى عقل مفتوح. وعلى حد قول أحدهم «العقول، شأنها شأن مظلات الهبوط، تعمل فقط عندما تكون مفتوحة...». فالعقل المغلق يفشل في التنبؤ بشيء، حتى لو تعرض صاحبه في الحقيقة رغماً عنه.

عملية التنبؤ العلمي بالمستقبل ليست لعبة حظ، فهي تعتمد حالياً على جمع الحقائق وتحليلها وتصنيف المعلومات، والاعتماد المكثف على الكمبيوتر. عالم المستقبل يقدم إلى الكمبيوتر كافة المؤشرات والمواقف والاتجاهات. التي تكون في أغلب الأحيان عبارة عن شذرات متناثرة غامضة من المعلومات. ثم يقوم بتحليل النتائج التي يقدمها الكمبيوتر. ويحاول أن يستنبط من ذلك الاتجاه الذي تسير وفقه الأمور.

أول تنبؤ علمي

وحرفة التنبؤ العلمي بالمستقبل ليست جديدة. نضجست بسرعة فائقة. منذ طمولتها الأولى. عندما بدأت وقت اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية.

والذي يؤرخ لهذه الحرفة. لا بد أن يسجل في تاريخها ما قام به الراحل

تيودور فون كارمان . عندما طلبت منه الاكاديمية القومية للعلوم بأمريكا أن يتبأ لها بمستقبل الصواريخ والمحركات النفاثة . فأفتى فون كارمان بأنه لا مستقبل لها . وعلل ذلك بعدم وجود مواد على درجة من الصلابه تنحمل درجات الحرارة العالية التي تتولد أثناء الاحتراق الذي يجري .

وبعد هذا بخمس سنوات . قام فون كارمان بتبؤ آخر لحساب الجيش الأمريكي . فذكر في ذلك التبؤ العديد من الاشياء التي تحقّق ٩٠ في المائة منها خلال السنوات العشرين التالية في مجال الصواريخ والمحركات النفاثة .

وعندما سئل فون كارمان في عام ١٩٥٥ عن السر في خطأ تنبؤه عام ١٩٤٠ . أجاب إن مرجع ذلك إلى نقص المعلومات . ومنذ ذلك التاريخ ، تطور التبؤ العلمي بالمستقبل في أمريكا ، مع نمو البنتاجون ، في سنوات الحرب الباردة ، خلال الخمسينيات والستينيات .

في عالم الصناعة والمال

انتقل التبؤ العلمي بالمستقبل بعد ذلك الى مجال الأعمال الصناعية والمالية . وأصبح كل صاحب مشروع يسأل نفسه ثلاثة أسئلة أساسية يسترشد بها في التبؤ بمستقبل عمله : هل الأمر مجد من الناحية التكنيكية؟ . ويعني التبؤ ها - هل أستطيع أن أقوم بهذا المشروع أم لا؟ . والسؤال الثاني هو: هل الأمر مجد من الناحية الاقتصادية؟ . ما هي تكلفة المشروع ، وهل تزيد أرباحه على تكلفته؟ . والسؤال الثالث هو:

هل الأمر مقبول من الناحيتين الاجتماعية والسياسية؟ . مما يعني . هل ستسمح لي الدولة ببيع منتجاته . وهل يقبل عليها الجمهور؟ .

واليوم توجد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ست مؤسسات متخصصة في التنبؤ العلمي بالمستقبل . من بينها المؤسسة الدولية للتنبؤ في أرنجرتون بفرجينيا ، والتي يرأسها أحد مؤلمي كتاب «لقاء مع المستقبل» ، العالم مارفن سيترون . من بين عملاء هذه المؤسسة الذين يلجأون إليها في تخطيط وتطوير نشاطهم ، شركات : جنرال اليكتريك ، وزيروكس ، وفولمو ، وسيتيانك ، والشركة العامة للتليفون والالكترونيات ، ووستجهاوس ، وأوكسيديتال بتروليام . بالإضافة إلى بعض الجهات الحكومية مثل هيئة الدفاع وهيئة الطاقة ، وإدارة القضاء . وبعض الدول الأجنبية مثل يوغوسلافيا والسويد وكينيا والبرازيل وإسرائيل .

المؤشرات في إيران

منذ تسع سنوات . قامت المؤسسة بتحذير عملائها من الوضع في إيران . وطلبت تخفيض استثماراتهم . فقد تحققت المؤسسة بعد دراسات طويلة متشعبة من أن الاوضاع القلقة في إيران تستفحل يوماً بعد يوم .

لقد تضمنت الدراسات التي قامت بها المؤسسة بحث ٣٥٠٠ عنصر من العوامل والاتجاهات والمؤشرات المختلفة . والمقابلة بينها في مئات من التشكيلات الممكنة . حتى توصل الكمبيوتر آخر الأمر إلى تلك النتيجة .

من بين المؤشرات التي استندت إليها المؤسسة . أن الأغنياء في إيران

يزدادون ثراءً، وأن الفقراء يزدادون فقرًا، إن معدلات التضخم تندفع بلا حدود. كما أن مشاكل الإسكان لا تجد لها حلاً.

البطالة متفاقسة، خاصة بين حديثي التخرج من الشباب. والشباب بدأ ينفذ صلته بشعبه. بل أنه كان قد توقف عن دفع رواتب رجال الدين. مما جعلهم يعتمدون على تبرعات ومساهمات الباعة في الأسواق. وكانت روجة الشاه قد بدأت في فرض نسبة على العقود التي يبرمها الشاه لسد فم الآلة العسكرية.

وكان من بين المؤشرات التي استندت إليها المؤسسة في القول بالهيار الوضع بإيران. ما قام به الشاه من مضاعفة لرواتب ضباط الجيش، حتى يشتري ولاءهم.

استجاب لنصيحة المؤسسة، ١١ شركة من الشركات التي تتعامل معها، فأسرعوا بتخفيض قيمة استثماراتهم في إيران، مما وفر عليهم ما مجموعه ٥٠٠ مليون دولار عندما بدأت ثورة الشعب الإيراني. ولم يستجب تسعة من عملاء المؤسسة لنصيحتها وتحذيرها، ففقدوا مثل ما كسبه الآخرون.

تباين نشاطات المؤسسة

باستقراء المؤشرات والاتجاهات تنبأت المؤسسة بعدة أحداث عالمية: حالة عدم الاستقرار التي فرضت نفسها على بولندا. الانقلاب العسكري في تركيا. التعيرات السياسية في الهند. كما تنبأت بالحرب العراقية

الايرائية . قبل أن تحدث بعام كامل . وكانت المؤسسة قد تنبأت قبل عام ١٩٧٣ ، بقطع العرب لأمدادات البترول . وبطوبير صرف الوقود في الغرب التي ترتبت على ذلك .

وبالنسبة للأوضاع الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية . تنبأت المؤسسة في السبعينيات بتقرير حق الطلاق دون أضرار . وبأوضاع علاقات التعايش الجديدة بين الجنسين . وبيزوغ نجم المحافظين . وكانت المؤسسة هي التي اقنعت مصعاً للسجائر ، من بين عملائها ، بإنتاج السجائر ذات القطران والنيكوتين المنخفض ، قبل أن تبدأ هذه الموجة في أمريكا . وألحت على أكبر ثلاثة مصانع للسيارات في ديترويت بإنتاج سيارات صغيرة . قبل أن تتحكم تويوتا في السوق العالمية .

السويد . . مؤشر أمريكا

يحكي مارفن ستريون عن الطريقة التي استطاعت بها المؤسسة أن تنبأ علمياً بهذه الحقائق المتصلة بالمجتمع الأمريكي ، فيقول : « كان ذلك بمراقبة ودراسة نفس هذه الاتجاهات كما كانت قد حدثت قبل سنوات في السويد . فالسويد هي دولة البشائر ، وأيضاً ناقوس الخطر بالنسبة لباقي دول العالم . فبالنسبة لمعظم التغيرات الاجتماعية خلال القرن العشرين . كانت البدايات تحدث أولاً في السويد . ثم تزحف إلى باقي الدول الاسكندنافية . قبل أن تصل إلى أمريكا . وعندما تصل هذه التغيرات الاجتماعية إلى أمريكا . فهي غالباً ما تلتزم خط سير محدد . تبدأ في نيويورك . ثم تتحرك غرباً إلى كاليفورنيا . ثم إلى أوريغون . ثم عبر البلاد

ثانية الى الممر الشمالي الشرقي الذي يتضمن بوسطن وواشنطن . وبعدها تتجه غرباً الى مينيسوتا ويسكونس . ثم الى باقي أنحاء الولايات المتحدة الامريكية وتصل هذه التغيرات آخر ما تصل الى الولايات المحافظة أكثر من غيرها . مثل الاياما وميسيسيبي ويوتا» .

المواقف الأمريكية الجديدة حول الجنس والمرأة جاءت من السويد . عندما بدأت فيها عام ١٩٣٢ الحركة النسائية ، التي حولت النساء من الوظائف التسائية التقليدية ، مثل التدريس والتمريض ، إلى كافة مجالات العمل الأخرى . ونظام التأمين الاجتماعي بدأ في السويد قبل أن يظهر في أمريكا . ونفس الأمر ينحسب على مشروعات الخدمة الصحية العامة . وكانت السويد هي أول من حرم عقوبة الإعدام . وأول من أمّن على ضمانات السلامة الوظيفية والأمن الصناعي . وأول من فرض استخدام أحزمة الأمان للسيارات . وما تراه اليوم مسجلاً على علب وزجاجات المنتجات المختلفة من تسجيل لمكونات ما بها . ظهر أول ما ظهر في السويد . وقبل أن يظهر في أمريكا بعدة سنوات .

قصة التبني بالسجائر

يقول مارفن سينرون . من هنا أمكننا أن نتنبأ بموجة السجائر مخفضة القطران والنيكوتين في أمريكا . فقبل ذلك بسنوات أمرت حكومة السويد بتسجيل نسبة القطران والنيكوتين على كل علبة سجائر . مما قاد إلى سباق

شركات السجائر السويدية إلى إنتاج سجائر تنخفض فيها هذه النسبة. حدوث هذا في السويد. أقنعنا بقرب حدوثه بعد ذلك في أمريكا.

وهو يتوقع أن تبدأ في أمريكا خلال السنوات العشر القادمة. نفس الاجراءات والأوضاع التي شاعت في السويد. فينتقل إلى أمريكا مبدأ إجازة الأبوة. بالنسبة للآباء الجدد. والتأمين الحكومي الطبي على المواطنين ضد الكوارث. والتعليم الجامعي المجاني على أساس منح التفرق. كذلك من المتوقع أن تطبق أمريكا القوانين المتشددة لمحاسبة قادة السيارات المخمورين، بعد أن طبقت بشكل فعال في السويد.

وقد بدأت تظهر في أمريكا بشائر القوانين السويدية التي طبقت في السويد بخصوص حقوق الطفل. فالطفل السويدي الذي يبلغ الخامسة من عمره. يمكنه أن يقرر مع من يريد أن يعيش، إذا ما حدث الطلاق بين الأبوين. والذين هم أكبر سناً من المراهقين. يكون لهم حق الانفصال عن الأبوين، إذا ما ثبت للقضاء عدم كفاية الأبوين، وعدم قدرتهما على القيام بواجباتهما تجاه المراهق. فنعطيه المحكمة حق الانفصال عن أبويه والعيش عند الأقارب والأصدقاء الذين يرحبون به.

كما ستبدأ بعض سجون الولايات المتحدة الأمريكية تجربة نظام الزنزانة المشتركة في السنوات القادمة. فالرجل والمرأة من المسجونين في السويد يمكنهما أن يتقاسما زنزانة واحدة. إذا ما طلبا ذلك معاً. وقد ظهرت لهذا النظام آثاره الطيبة في سجون السويد. من حيث رفع الروح المعنوية، والحد من التوتر ومن ظواهر الشذوذ الجنسي بين المساجين.

كذلك سيصل إلى أمريكا في المستقبل القريب. ما جرى تطبيقه في السويد. من إعطاء حق الانتخاب للعمال المهاجرين إليها من الأجانب. فقد وفر هذا الحق للعمال المهاجرين الاحساس بالانتماء. كما جعلهم مقبولين بشكل أكبر لدى المواطنين.

بولندا . . والعقل الإلكتروني

ويفسر علماء المستقبل السرفي تنبؤهم بالأوضاع غير المستقرة حالياً في بولندا، فيقولون إنه يكفي في هذا أن نعود بذاكرتنا إلى نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد فقدت بولندا، بسبب الحرب، صناعتها الثقيلة، شأنها شأن الدول الأوروبية الأخرى. ولكن على عكس هذه الدول، لم تسع بولندا إلى تطوير وتحديث مصانعها وترساناتها عندما أعادت البناء. لقد خضت بولندا إلى عالم ما بعد الحرب خطوة خاطئة. باستخدام آلات يرجع طرازها إلى ٣٠ سنة مضت. في منافسة الدول الأخرى المجاورة لها، والتي عيّدت إلى تحديث صناعاتها. وهذا هو الذي أوقع بولندا في الديون. وجعلها مديونة للبنوك الغربية بما يزيد على ٢٧ بليون دولار.

ويرى علماء المستقبل في الغرب، أن بولندا لم تكن تناسبها الشيوعية، فقد كانت أكثر صلابة في الرأي واستقلالاً في الإدارة من أن تخضع لأيديولوجية حديدية ومركزية كالشيوعية. وهكذا نشأت الارتباكات، قادة الحرب المحليون يعطون الأوامر التي من حق القيادة المركزية، والعكس بالعكس. تقرر القيادة المحلية انتاج السيارات، متجاهلة حقيقة عدم قدرتها على منافسة السيارات السوفيتية والأوروبية.

وفي نفس الوقت، بوضع حق تقرير إجازات العمال في يد اللجنة المركزية بوارسو، وليس في يد القيادات المحلية.

والمعروف أن معظم الأسر البولندية لها بعض الأقارب المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ونتيجة لهذا، يعقد العمال في بولندا المقارنات من واقع الخطابات التي تصلهم من أقاربهم. تلك الخطابات التي تقول لهم إن أيام العمل الأسبوعية قد أصبحت خمسة أيام فقط وليس ستة. وإنها ستصبح في القريب أربعة أيام. وفي نفس الوقت ترفع الحكومة البولندية أسعار المأكولات، ولكنها تبقى الأجور على حالتها. وهي تضيق على الكنيسة الكاثوليكية، دون أن تدرك أن العالم قد أصبح على وشك اختيار بولندي للبابوية. لقد كان انتخاب البابا جون بول الثاني، هو القشة التي قصمت ظهر البعير.

وأيضاً حدث شيء آخر. فبعد سنوات من التحكم في الصحافة ومراقبتها بشدة، خضعت الحكومة البولندية لضغط الشعب، وتركت للصحافة البولندية قدراً كبيراً من حريتها، وكانت النتيجة طوفاناً من النقد للشيوعية، وللنظام، ولارتفاع الأسعار، وانخفاض الأجور. يقول مارفن سترون معقّباً على ذلك. عندما قام خيراؤنا بتلقيم العقول الالكترونية بهذه الحقائق، دارت دورتها، ثم ظهرت على شاشاتها كلمات: عدم الاستقرار.. والاضراب.. والقلاقل.. وكان هذا ما قامت به نقابة «تصامن».

تركيا . . والمستودع الشرعي !

أما عن الانقلاب العسكري في تركيا، فإن التنبؤ به لم يكن صعباً بالمرّة، ذلك إذا ما تأملنا المؤشرات الشبيهة في إيران .

كان المسلمون الأتراك في حالة قلق بسبب التوجهات الغربية السائدة هناك . . ولم تستطع الحكومة التركية أن تصل إلى اتفاق مع اليونان حول قبرص . وكانت الهوة بين الفقراء والأغنياء آخذة في الاتساع ، وقد بلغ معدل دخل الفرد في الشريحة العليا التي تمثل عشر الشعب الأغني ٣٥ ضعفاً معدل دخل الفرد في العشر الأفقر من الشعب .

وأيضاً كان واضحاً بشكل متواصل ، بلا أحزاب أخرى وسيطة تملأ الفراغ بينهما . . كان اليسار يقتل اليمين ، واليمين يقتل اليسار في شوارع أنقرة .

والجيش التركي القوي ، قد يقبل اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء ، وقد يرضى عن التوجهات الغربية للدولة ، وحتى قد يغمض العين عن غيبة انتصار واضح في قبرص ، لكنه لم يستطع تحمل الجرائم السياسية في الطرقات . . وهكذا جاء الوقت الذي يتحرك فيه الجيش التركي للامساك بزمام الأمور ، معتبراً نفسه المستودع الشرعي للمشرف القومي .

١٨ شهراً قبل حرب أكتوبر

ومن بين الأمور التي درستها مؤسسة ارلنجتون العالمية للتنبؤ العلمي . وتوصلت فيها إلى تنبؤات صائبة ، الأوضاع الخاصة بالشرق الأوسط عام ١٩٧١ . وقد حرت هذه الدراسة استجابة لطلب من السوق المشتركة .

يقول مارفن سيترون ، كان العرب في ذلك الوقت قد تقدموا لتوهم بخطة سلام غير ناضجة ، رفضتها إسرائيل . ولعل مرجع هذا الرفض ، جزئياً ، احساس إسرائيل بالتفوق ، بعد انتصارها الصاعق على العرب خلال ستة أيام . وكانت عناصر التقسيم التي خضعت للدراسة في هذه الحالة ، هي رفض إسرائيل لصفقة السلام ، في الوقت الذي تزايد فيه قوة العرب نتيجة للأوضاع الاقتصادية المعتمدة على البترول ، وزيادة اعتماد أوروبا على بترول الشرق الأوسط . . . دراسة هذه العناصر مع غيرها ، أتاح لنا أن نطلق تحذيرنا قبل ١٨ شهراً من قيام الحرب حذرنا من اختناقات في إمدادات البترول التي تأتي من العرب ، وقلنا إنه إذا حدث توقف في هذه الإمدادات ، فهل لن يعني معاناة أوروبا الغربية وحدها .

وهو يقول إن الدعم السافر من جانب الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ، كان دائماً مصدر سحق في العالم العربي ، الذي كان يدرك وقتها الحجم الهائل من البترول العربي الذي كان يندفق إلى معامل التكرير الأمريكية . إلى أن يقول ، «لقد خرجنا بتنبؤاتنا ، التي وضعناها أمام كل من يريد أن يفهم ، ولم يكونوا كثيرين ، والتي تفيد حتمية ظهور طواير صرف الوقود في الولايات المتحدة الأمريكية ، إذا ما نشبت الحرب في الشرق الأوسط . . .



والآن ، ما هي المؤشرات الحيوية التي نستطيع أن نعرف بها مدى استقرار أحوال الدول المختلفة في الشرق والغرب خلال السنوات الباقية على مقدم القرن الحادي والعشرين ؟ . .

الفصل الثاني

مصائر الدول
عند نهاية هذا القرن

كيف يتم التنبؤ العلمي بالمستقبل؟ ، وما هي المؤشرات الحيوية التي
يعتمد عليها عالم المستقبل في استقراءه للأحداث الراهنة، وتنبؤ
بالأحداث القادمة؟

هذه التنبؤات العلمية بالمستقبل ، متى تنجح ومتى تخبب؟ ، وما هي
لاشترطات الضرورية لنجاحها عند التصدي لمجالات يكون المعول
نيتها على البشر، وعلى المجتمعات ، وعلى الشعوب؟ .

ثم ما هي أهمية التنبؤ العلمي بالمستقبل؟ وهل يسجح فعلاً في تجنب
لبشرية العديد من المحن والازمات؟

يقول مارفن سترون وتوماس اتول في كتابهما «لقاء مع المستقبل» .
ند استعراض اسلوبهما في التنبؤ العلمي بأوضاع الدول :

«إن من بين ما نسمى إليه في هذا الكتاب ، التنبؤ بالازمات قبل أن
يصبح أزمات . . وفي هذا نحن لا نأخذ ما تقدمه لنا العقول الالكترونية
لأخذ التسليم . . إن التنبؤات التي يقدمها إلينا العقل الالكتروني ، تجري
راجعتها . وطرحها على الخبراء المتخصصين في كل فرع من فروع
لنشاط البشري»

«قبل أن نجلس لنكتب هذا الكتاب . حاولنا أن نسأل أنفسنا أكبر عدد من الاسئلة الممكنة . حول ما يسعى الناس إلى معرفته عن المستقبل . هل ستظهر أكثر من فيتنام أخرى للولايات المتحدة الامريكية؟ وأكثر من أفغانستان للاتحاد السوفييتي؟ كم دولة ستمتلك الاسلحة النووية؟ وماذا ستكون قيمة العملات العالمية؟ وما هو الشكل الذي ستكون عليه سيارة المستقبل عام ١٩٩٠ ، ثم هل سيعيش الجيل الحالي عمراً أطول من جيل الالاء؟ وما هو مستقبل معدلات الطلاق؟ . . وهل سنصل الى حل لازمة الطاقة؟ . . .»

«و نحن لا نزعّم معرفة جميع الاجابات ، لكننا نقدم هنا كل الاجاسات التي أمكننا التوصل إليها . نحن لا نقدم إلى القارىء ما يتمنى ويحب أن يحدث ، فمن بين التوقعات التي يقدمها هذا الكتاب ما يكون غير سار بالمرّة ، لكنه يقوم على حقائق موضوعية ثابّة . نحن نبذل غاية جهدنا لكي نكون عقلانيين ومقنعين فيما نقدمه من تنبؤات . وعندما نشعر اننا عاجزان عن الوصول إلى اجابة مقنعة في أي مجال من المجالات ، نستشير من هم أكثر خبرة .»

أهمية التنبؤ العلمي

لكن ، لماذا يكون من المهم أن نتمكن من التنبؤ العلمي بالمستقبل؟ إن تغير الاحوال بلغ حداً من السرعة ، بحيث أصبح من غير الممكن أن نعتمد على استجابات سطحية في تعاملنا مع أحداث المستقبل ، يكفي في

هذا أن ننظر إلى أسعار البترول المتزايدة، وإلى الفائدة المحلقة في ارتفاعها. . يكفي أن ننظر إلى هذا حتى نتأكد من حاجتنا إلى معلومات أفضل من تلك التي تحت أيدينا، حتى نستطيع أن نواجه المستقبل بشكل أكثر اطمئناناً.

تصور - ولو للحظة - أن شركات إنتاج السيارات كانت تعلم عام ١٩٧٠ أن السيارات الصغيرة ستصبح ضرورة حتمية في المستقبل القريب. لا شك أن مثل هذه المعرفة كانت ستوفر عليها الكثير من الجهد. وتحقق لها الكثير من الأرباح.

ولا شك أن لدى كل منا العديد من التساؤلات حول ما سنبذو عليه السنوات الباقية على بداية القرن التالي. هل يكون موقف الإنسان من المال هو نفس موقفه الحالي. الواضح أن الإنسان سيظل شغله الشاغل، جمع المال الذي يحتاج إليه في حياته حتى نهاية هذا القرن، وإلى أن تنجح الجهود الحالية في توليد الطاقة من عمليات الاندماج النووي بشكل علمي. فتنخفض أسعار الطاقة انخفاضاً كبيراً.

سيضعف سعر البترول خلال السنوات العشر القادمة. وستصنع السيارات من البلاستيك. بحيث يصل وزنها إلى نصف وزن السيارة الحالية، وتقطع من المسافات ضعف ما تقطعه السيارة الحالية. ولكن، كيف توصلنا إلى هذا الاستنتاج؟

تكمّن الإجابة في «قاعدة البديل»، وهي القاعدة التي تقول إن شيئاً ما

يحل محل شيء آخر. إذا ما كان أرخص أو أكثر أمناً أو يؤدي المهمة بشكل أفضل.

السيارات، أصبح نصفها تقريباً من البلاستيك، وهناك قاعدة تقول إن إذا وصلت نسبة المادة البديلة في الاستخدام إلى النصف، فهي غالباً مدمجة في شيوعتها حتى تحقق نسبة ٩٠ في المائة أو أكثر. لقد حدث نفس الشيء في السمن النباتي كبديل للزبد والسمن الطبيعي، وفي طلاء الحوائط الذي يعتمد على الماء في إذابته، كبديل لمواد الطلاء التي تعتمد في تركيبها على عنصر الرصاص، وحدث في الفحم كبديل للخشب، والبتروك كبديل للمحم، ومواد التحلية الصناعية كبديل للسكر.

السيارات البلاستيك

بالنسبة للسيارات، كان أول بديل صناعي اعتمدنا عليه هو المطاط الصناعي المستخدم في الاطارات، ثم دخل البلاستيك إلى الحيز الداخلي بالسيارة. فاستبعدنا القطن وصوف التجيد. ثم صنعنا لوح القيادة التي تكون أمام السائق من مادة الفينيل. وهي من ضمن المواد التي يصنع منها البلاستيك، وستكون الخطوة التالية هي صنع الرفارف من البلاستيك. يليها صنع أجزاء المحرك من بلاستيك مقاوم للحرارة ويتحمل الضغط المرتفع. وسنصنع بعد ذلك جسم السيارة وهيكلها من البلاستيك. إلى أن نصنع المحرك ذاته من البلاستيك. وما أن يحل ع ١٩٩٠، حتى نصنع من البلاستيك ٩٩ في المائة من السيارة.

حرب أم سلام؟

في كتاب «لقاء مع المستقبل» يجيب المؤلفان على سؤال يهم كل إنسان على سطح الأرض . وهو هل سيعم السلام أو تسود الحرب خلال العشرين سنة القادمة؟

يقولان «سيكون هناك حرب وسلام . فمما يؤسف له أن الحرب نشبت وتنشب وستنشب دائماً في العالم . ولكن مما يبعث على التفاؤل ، إننا لا نعتقد بلحتمال حرب نووية شاملة خلال السنوات العشرين التالية» .

ثم يقولان «ورغم أن الكثير مما ينتظرنا يبدو باعثاً على اليأس ، إلا إننا ننظر إلى المستقبل من خلال عيون متفائلة . . سيكون هناك عدد أقل من الفقراء ، بعد تطوير نظم الرعاية الاجتماعية وبعد أن تظهر أشكال جديدة للإصلاح الاجتماعي في بداية التسعينات . . فما أن يصل إلى عام ١٩٩٠ ، حتى تبلغ ساعات العمل ٣٢ ساعة أسبوعياً . . وفي عام ٢٠٠٠ ستصل إلى ٢٥ ساعة فقط ، الوظيفة الواحدة سيتولاها أكثر من موظف بالتناوب . وستولى الروبوت ، أو الإنسان الآلي ، كل المهام الأصعب والأكثر خطراً على الإنسان في المصانع ، ومع تحسن الظروف الصحية ، وازدياد معدل حياة الإنسان ، ستصل سن التقاعد عن العمل إلى ٧٠ أو ٧٥ سنة» .

ثلاث زوجات لكل أمريكي

من أصعب الأمور التنبؤ بالتغيرات الاجتماعية والسياسية خلال العشرين سنة القادمة . ومع ذلك يتصدى كتاب «لقاء مع المستقبل» لهذه المهمة الصعبة ، واضعاً من خلال ذلك بعض المبادئ الأساسية التي يمكن الاعتماد عليها في هذا الصدد ، والتي أثبتت التجربة سلامة الاعتماد عليها .

وقد كان من الطبيعي أن يستهل المؤلفان جهدهما ، بمبحث مستقبل الأوضاع في الولايات المتحدة الأمريكية . وقد تنبأ المؤلفان في نهاية السبعينات بأن أمريكا ستقع تحت تأثير الاتجاهات المحافظة ، وحتى عام ١٩٨٨ ، ورغم أنهما كتبا هذا الكتاب في عام ١٩٨٠ ، إلا أنهما أكدا على فوز ريجان بالرئاسة لفترة ثانية ، الأمر الذي تحقق عام ١٩٨٤ .

ويقول الكتاب ، إنه بالرغم من سيادة الاتجاه المحافظ في الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أن التغيرات الاجتماعية التي تمت في السبعينات لن تنعكس ، لكنه لا يتوقع تغييرات جديدة في ظل رئاسة ريجان . وفي هذا ، أيضاً يعتمد المؤلفان على قياس أوضاع السويد . فمنذ عشر سنوات . توقف في السويد تيار التعبير المطرد ، بعد أن بلغ مداه في الفترة السابقة .

وبالنسبة للحياة الاجتماعية يرى الكتاب أن الولايات المتحدة ستعرف نسبة طلاق أكثر ارتفاعاً . لن يعتبر المواطن الأمريكي زواجه الأول هو الزواج الوحيد . وستتيح العديد من الولايات حق الطلاق دون إبداء الأسباب . وستزوج معظم الأمريكيين ثلاث زوجات خلال

حياتهم . . الأولى لتلبية النزعة الرومانسية ، والثانية للانجذاب ، والثالثة للرفقة المؤنسة ، وسيعيش المزيد من الأمريكيين معاً فيما يسمى بزواج التجربة . وسيزيد عدد البالغين الذين يعيشون معاً دون زواج . أما المواقف المتحررة من موضوع الجنس ، فسنبقى ، بل وسيزيد مداها .

وهنا يشير المؤلفان إلى مسألة هامة في التنبؤ العلمي بالمستقبل ، وهل يمكن أن نحكم عليه حكماً أخلاقياً ، فيقولان «في هذا الكتاب لا نقوم بطرح أي أحكام أخلاقية ، إذا ما قلنا أن الطلاق سيرتفع معدله ، وأن الكثير من الرجال والنساء سيتزوجون ثلاث زيجات في حياتهم . فنحن نذكر ذلك ، لا لأننا نحب له أن يحدث ، أو لأننا نشجع على حدوثه . . نحن نذكره ، لأن مؤشرات الحاضر تنبئ بحدوثه» .

مائة دولة أفريقية تغير اسمها

منذ الحرب العالمية الثانية ، وخلال ٤٠ سنة مضت ، تغيرت أوضاع معظم الدول ، بقدر أكبر من تغيرها على امتداد الحروب السابقة في التاريخ . هبطت دول وصعدت أخرى . . اختفت دول وعادت لتظهر من جديد . . وقد تسارعت هذه التغيرات بحيث أصبح من الصعب تسجيل كل مظاهرها . سقطت الفاشية ، وصعدت الشيوعية ، انتهى عصر الإمبراطوريات ، وبدأ عصر الاشتراكية . . نشبت العديد من الحروب الأهلية ، وقامت العديد من الثورات والانقلابات والحركات العسكرية في كل ركن من أركان الأرض على مدى هذه السنوات الأربعين . خسرت

الدول الأوروبية الاستعمارية كل مستعمراتها . . أعظم امبراطورية في التاريخ ، تلك التي لم تكن تعيب عنها الشمس ، تنحصر الآن في إنجلترا واسكتلندا وويلز وإيرلندا الشمالية .

ولكني نأخذ فكرة عن عدم أوضاع الدول خلال العشرين سنة الماضية فقط ، يكفي أن نتأمل أحوال الدول الإفريقية . لقد غيرت هذه الدول أسماءها أكثر من مائة مرة خلال هذه الفترة .

إذا كانت الأسرة الدولية قد شهدت هذه الحالة من عدم الاستقرار خلال العشرين سنة الماضية ، فماذا ستكون صورة العالم خلال السنوات العشرين القادمة ؟ . وإذا كان من الصعب التنبؤ بما حدث في العشرين سنة الماضية ، كيف ستجرح في التنبؤ بأحوال العشرين سنة القادمة ؟

المؤشرات الحيوية

الاتجاهات التي تساعد على تشكيل الأحداث الدولية ، تتأثر دائماً بما يطلق عليه «المؤشرات الحيوية لكل دولة»

هذه المؤشرات الحيوية مع أهميتها ، يسهل التعرف عليها . وهي تحدد وضع الدولة ، كما يحدد ضغط الدم ودرجة الحرارة ، وعند ضربات القلب ، حالة الاسان . وبصرف النظر عن موقع إقامة الانسان فوق سطح الأرض ، فدرجة حرارة الجسم الطبيعية تظل ثابتة ، وهكذا الامر بالنسبة للدول ، تكون لها أيضاً مؤشرات الحيوية الطبيعية وغير الطبيعية .

المؤشرات الحيوية التي ندخلها في حسابنا عند تأمل وضع دولة معينة ،

هي المؤشرات التي تحدد استقرارها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. ومن بين هذه المؤشرات الحيوية . معدل ترايد المواليد في الدولة . وموقفها من المظالم التي تقع على رعاياها ، وكيف تعامل الدولة المواطنين الخارجين عليها وعلاقتها بالصحافة . ومعدل تبديلها للأنظمة الاقتصادية والتجارية وموقفها من حق الاضراب وأين ترسل الصموة من ابنائها لاستكمال تعليمهم وماذا تدفع كمرتبات لضباط جيشها .

القدمان في الفرن والرأس في ثلاجة!

أهم المؤشرات الحيوية التي يرجع إليها علماء المستقبل هو معدل دخل الفرد . لكن عند البحث في استقرار نظام دولة ما ، لا يفيدنا ان نعرف متوسط دخل الفرد بشكل عام ، فالمهم في هذا ان نعرف مدى الهوة بين دخل القمة ودخل القاع . ويتم ذلك بأن نحسب متوسط دخل الفرد بالنسبة لعشرة في المائة من اصحاب أكبر الدخول ، ومتوسط دخل الفرد بالنسبة لعشرة في المائة من اصحاب اقل الدخول ، ثم نحسب العلاقة بين المتوسطين . . . هذه العلاقة هي التي تحدد مؤشرات استقرار النظام في دولة ما . فالتباين الشديد بين المتوسطين ، يجعل الدولة مثل الإنسان الذي يضع قدميه في فرن ورأسه في ثلاجة ، رغم ان متوسط درجة حرارة الرأس والقدمين قد يبدو طبيعياً ، إلا ان مثل ذلك الانسان لن يعيش طويلاً . إذا ما بقي على تلك الحال .

أكثر الدول استقراراً بهذا المعيار هي السويد حيث يبلغ متوسط أعلى الدخل ٢,٥ من متوسط أقل الدخل . . بينما يبلغ ذلك في الولايات

المتحدة الامريكية ١١ ضعفاً . وإذا استخدمنا هذا المؤشر كمعيار وجدنا ان أقل دول العالم استقراراً هما أندونيسيا والأرجنتين حيث يبلغ ذلك ٤٠ ضعفاً . وهذا لا يعني أن عالم المستقبل يتنبأ بقيام ثورات حتمية في مثل هذه الدول الأخيرة، لكنّ الثابت ان ما حدث في ايران، حدث وقد بلغ فيها التباين في الدخول ٣٨ ضعفاً.

طريقة معاملة المعارضة

ومن المؤشرات الحيوية الهامة عند بحث درجة استقرار دولة ما، معدل البطالة، ونحن لا نقصد بذلك النسبة العامة للمتعطلين في الدولة، ولكننا نعني البطالة بين الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٨ سنة. وهي الفئة التي تخلق المتاعب للدولة عندما تفتقد أمنها واستقرارها .

هؤلاء يأتون عادة إلى المدينة، من المناطق الريفية، بعد أن يكونوا قد حصلوا على قدر من التعليم. على أمل الحصول على فرصة عمل فيها. وهم عادة لا يحصلون على العمل المنشود ويفتقدون المكان المناسب لاقامتهم. ولا يتوفر لهم القدر الضروري من المال والطعام. وبداهة لا يستطيعون التفكير في الزواج واقامة أسرة، يحدث كل هذا، بعد أن حصلوا على قدر من التعليم يسمح لهم بإدراك أن الأمور يجب أن تكون أفضل من ذلك.

عندما سقط الشاه في ايران. كان هناك مئات الألوف من مثل هؤلاء الرجال، الذين كانوا قد استقروا في المدن الكبرى، وكان هؤلاء هم العمود الفقري للثورة التي أطاحت بالشاه.

ومن بين المؤشرات الحيوية التي يستند إليها علماء المستقبل في تصنيف نظام ما على أنه غير مستقر. هو أيضاً ما فعله الشاه قبل سقوطه بستين، عندما ضاعف رواتب ضباط جيشه. وكان من الواضح تماماً أن الشاه بهذه الخطوة لا يسعى إلى تقوية القدرة العسكرية للجيش بل كان يسعى لشراء المريد من ولاء الجيش.

أيضاً، من بين المؤشرات الحيوية لعدم الاستقرار، طريقة معاملة الدولة للمعارضين وأصحاب الرأي المخالف، وعندما أحس الشاه بتزايد مدى المعارضة. كانت استجابته الوحيدة هي مضاعفة حجم وقدرته وتمويل «السافاك» البوليس السري الإيراني المنوحش، الذي قام بسجن المعارضين وتعذيبهم وقتلهم.

التصدير والاستيراد

ومن بين المؤشرات التي يعتمد عليها في تحديد درجة الاستقرار السياسي في دولة ما الكيفية التي تنتقل بها السلطة من نظام إلى آخر، ودرجة الكفاءة الإدارية في أجهزة الدولة، ومدى تقبل شعب هذه الدولة للسلطة المركزية.

من بين المؤشرات التي يعتمد عليها مارفن سيترون وتوماس اوتول في كتابهما «لقاء مع المستقبل»، معرفة ما إذا كانت الدولة تصدر أكثر مما تستورد، وما إذا كان لديها أكثر من مصدر للطاقة، وكذلك معدلات التضخم فيها. وفي هذا يقولان:

«خذ اسرائيل مثلاً. واحدة من أكثر الدول تعرضاً لعدم الاستقرار في العالم، لماذا؟.. لأنها تستورد خمسة أضعاف ما تصدره، وليس لديها إلا قدر صغير من مورد طبيعي وحيد هو البوتاس. ومصدر الطاقة الوحيد لديها هو الطاقة الشمسية ولا يوجد بترول أو غاز طبيعي في اسرائيل، وهي تحصل على فحمها من جنوب افريقيا، وعلى اليورانيوم من الولايات المتحدة الأمريكية ومعدلات التضخم فيها عالية للغاية.»

ومن المسائل التي تدخل في الاعتبار عند دراسة مدى استقرار الأوضاع في دولة ما، مسألة الوحدة القومية، لهذا تعتمد دراسة الوضع على الاجابة عن بعض الأسئلة. من بينها الفئات والتكوينات القومية التي تدخل في تكوين هذه الدولة، وعما إذا كانت هناك ايدولوجية عامة توحد فكر أغلبية أبناء هذه الدولة. وفي هذا المجال تحظى الأرجنتين بأقل تقدير بالنسبة لمسألة الايدولوجية الموحدة، فمعظم الأرجنتينيين من الألمان، والابرنديين والايطاليين والاسبان، ممن يكرهون بعضهم البعض بشدة، ونفس الشيء بالنسبة لايران عند سقوط الشاه، فالشعب الايراني يتكون من طائفتين مسلمتين مع مسيحيين ويهود وأكراد وماركسيين يصممهم حزب تودة.

الطعام والمواد الخام

والمسألة السكانية من المؤثرات التي تحدد توجه الدولة ومدى استقرارها، فالدولة التي يتزايد سكانها بمعدل ٢ في المائة سنوياً تكون أقل استقراراً من الدولة التي يكون المعدل فيها ١ في المائة بسبب بسيط هو

انها تكون ملزمة باطعام عدد أكبر من الافواه. والدولة التي يعيش معظم سكانها في المدن تكون غير مستقرة، لأن هذا يعني تكديس المدن وشيوع البطالة ونقص العمالة الزراعية التي توفر الطعام لاهل المدد.

ثم هناك عدة تساؤلات تدخل في تقييم مدى استقرار النظام في الدولة: ما هو قدر الطعام المتوفر؟ هل يحصل المواطنون على جميع الأسعار الحرارية التي يحتاجون إليها؟ هل تتوفر الثروة البروتينية الكافية للجميع؟. وما هو الوضع بالنسبة لامدادات الطاقة؟. بصفة عامة، الدول التي تنتج من الطاقة أكثر مما تستهلك تكون أكثر استقراراً من الدولة التي تستهلك أكثر مما تنتج.

وإذا انتقلنا الى المواد الخام، يمكننا أن نصل إلى المؤشرات التالية: الدولة التي لديها مصدر واحد من المادة الخام تكون بالتأكيد أقل استقراراً من الدولة التي لديها مصدران أو ثلاثة أو حتى أربعة مصادر مختلفة من المواد الخام، التي تستخرجها وتجهزها، لاستخدامها، ثم لتصديرها حتى تحصل من ذلك على العملات الأجنبية التي تحتاج إليها.

هناك مثال واضح يصور هذه القاعدة، ويتصل بالقمح، لقد قادت الأبحاث إلى استنباط مواد تحلية من القمح أكثر حلاوة ورخصاً من السكر الذي نحصل عليه من قصب السكر، عندما حدث هذا، سقطت خمس دول، من التي كانت تعتمد أساساً على محصول قصب السكر، من عداد دول العالم الثالث إلى دول العالم الرابع، وكان الاستثناء الوحيد هو جامايكا التي خسرت سوق السكر الخاص بها في مواجهة سكر القمح،

ولكنها كانت ما زالت تحتفظ بانتاجها من البوكسيت الذي كانت تبعه لصانعي الالومنيوم في السوق العالمية ، وهكذا بقيت جامايكا ضمن دول العالم الثالث .

الطموح القومي عنصر استقرار

ومن المؤشرات القوية في تقدير مدى استقرار الدول . درجة استفادة الدولة من العلوم والتكنولوجيا ، والنموذج الاملل للدولة المستقرة ، الدولة التي تستطيع طبقتها العاملة أن تستوعب أكثر النواحي التكنولوجية المتاحة . أما الدولة التي لا تتمتع بالاستقرار ، فهي التي تعتمد طبقتها العاملة على المجهود اليدوي في انتاجها ، ولا تستطيع هضم الاساليب التكنولوجية الحديثة

وإذا أدخلنا في الاعتبار درجة التصنيع في دولة ما ، وجدنا أن الدولة التي تنتج أكثر من ٥٠ بليون دولار من البضائع المصنعة تصنعاً نهائياً تكون مستقرة ، أما الدولة التي تنتج مصانعها بضائع تقل قيمتها عن ١٠ بلايين دولار ، فتكون غير مستقرة ، بصرف النظر عن حجم هذه الدولة بالنسبة لباقي الدول .

ولا يجب أن ننفل مسألة الطموح القومي كعنصر من عناصر الاستقرار . فمع كل ما ذكرناه بالنسبة لايران ، لا يجب أن نكون شديدي التشاؤم بالنسبة لمستقبلها ومستقبل غيرها من الدول ذات الظروف الشبيهة . فإن احساس المسلمين الشيعة بذاتهم على درجة من القوة ، بحيث يسمح لهم بأن يقدموا حياتهم في سبيل مبادئهم . وهذا في حد ذاته يعتبر عاملاً من

عوامل الاستقرار، وغايته ينظر إليه كعامل من عوامل عدم الاستقرار. كذلك يؤثر على استقرار الدولة موقعها الجغرافي. فالدولة التي تتحكم في طريق بري أو بحري هام بالنسبة لأحدى القوتين العظميين، تكون أكثر استقراراً من غيرها، بسبب بسطه هو أن القوة العظمى المعنية ستكون أميل إلى توفير الحماية اللازمة لهذه الدولة.

هل تبقى هذه الدول؟

وقد حاول سيرون وأوتول تصنيف الدول إلى دول مستقرة، ودول لا يتوفر لها الاستقرار من واقع المؤشرات الحيوية التي أشرنا إليها، والتي جرى تغذية العقل الإلكتروني بها للوصول إلى كافة التوافق والتبادل التي بينها.

وقبل أن نتحدث عن مصير كل دولة من الدول بالتفصيل عندما يقبل علينا القرن القادم، نورد حصراً تلخيصاً قام به المؤلفان، لترتيب الدول من حيث مدى استقرارها.

أقوى الدول وأكثرها استقراراً في العالم ستظل أولاً الولايات المتحدة الأمريكية ثم بالترتيب استراليا وكندا والمملكة المتحدة. الدولة الخامسة ستكون ألمانيا بعد أن يتوحد شطراها ثانية. ثم فرنسا، والاتحاد السوفيتي، الذي ستهبط أسهمه لأنه تخلف في الاعتراف بالثورة التكنولوجية التي تغير أوضاع الاقتصاد العالمي، أما الصين فستعظم قوتها العالمية، لنفس الأسباب التي ستهبط باليابان. فالصين لديها ما يخصصها من فحم وبتروول ومعادن. واليابان ليس لديها شيء من هذا.

أما انجلترا فستستعيد مكانتها بسبب بترول وعاز بحر الشمال ، وموقفها السياسي القوي ، ويقول الكتاب إن الدول العربية لن تبقى ممسكة بخناق العالم نتيجة لما لديها من بترول إلا أنها لن تتراجع في مكانتها عن وضعها الحالي .

سيكون هناك هند صينية واحدة تحكمها فيتنام .

أما ما يطلق عليه الكتاب تعبير دول العالم الرابع . وهي الدول التي ليس لديها بترول أو معادن والتي تكتظ بسكانها ، مثل الهند وباكستان ، وبنجلادش وسري لانكا والنيجر وتشاد ، وإريتريا وموريتانيا وبوليفيا ، فستكون محظوظة إذا ما ظلت باقية كدول مستقلة وموحدة عند مطلع القرن الجديد .

الفصل الثالث

الشرق الأوسط . .
نصف بترو ل العالم
ونصف التوتر العالمي

ننتقل الآن إلى استعراض أوضاع بعض دول العالم عند بداية القرن الحادي والعشرين ، وذلك بتطبيق المؤشرات الحيوية التي أشرنا إليها ، والتي يفترض أنها تحدد ما ينتظر هذه الدول من استقرار وازدهار.

وقبل أن نبدأ هذا ، يهمنا أن نؤكد مرة ثانية على أن هذه الرؤية ، مع كل ما فيها من محاولة التزام الموضوعية والحياد ، هي رؤية غربية ، قامت بها مؤسسة أمريكية ، تنبع من مجتمع له أيديولوجيته ، وله نظامه الاقتصادي الخاص ، الذي يتمسك به ، ويدافع عنه ، ويسعى إلى تعميمه .

ودعنا نتذكر دائماً أنه إذا كان العقل الإلكتروني واحداً في واشنطن وموسكو ، فالمعول على البشر الذين يغذونه بالمعلومات ، والذين يحللون النتائج التي يقدمها .

ماذا يقول كتاب «لقاء مع المستقبل» عن مستقبل ألمانيا؟

التغيير الوحيد ، الأكثر أهمية من الناحية السياسية ، للسنوات العشرين القادمة ، سيكون توحيد الدولتين الألمانييتين . لقد بدأت عملية التوحيد فعلاً ، منذ أن قام المستشار شميت بزيارته الأولى لألمانيا الشرقية ، بعد بداية الاضرابات البولندية . والخطوة التالية ستكون سياسة تسمح لمواطني الدولتين بعبور الحدود بينهما دون قيد ، وزيارة الأقارب . ثم يجري

تخطيط سور برلين . وتقليص الحواجز التجارية بين البلدين وتخفيف قوانين الهجرة .

وستأتي الخطوة النهائية عندما تبدأ القوات السوفييتية في الخروج من ألمانيا الشرقية عام ١٩٩٠ ، تمهيداً لاعادة التوحيد عام ١٩٩٥ .

والسؤال هو: لماذا يبارك الاتحاد السوفييتي توحيد شطري الدولة الألمانية؟ ..

الاجابة هي: لكي تخرج ألمانيا من حلف شمال الأطلسي ، وتصبح منطقة محايدة، منروعة السلاح النووي ، بين الشرق والغرب . وهكذا تصبح الدولة الألمانية الموحدة من بين دول عدم الانحياز.

توحيد الدولة الألمانية

ومما يساعد على توحيد شطري الدولة الألمانية ، ما يظهر حالياً من مؤشرات توحى بالتخفيف من القيود السابقة . حالياً ، بإمكان سكان ألمانيا الغربية أن يزوروا اقاربهم في ألمانيا الشرقية ، كما أن الدولتين قد بدأتا تبادلاً تجارياً . الاحساس بالذنب الذي كانت تشعر به ألمانيا الغربية نتيجة لمذابح الحرب العالمية الثانية ، والذي ساعد على تكريس الانفصال بدأ يتبدد . ولم تعد حكومة ألمانيا الشرقية تبني السياسة المتشددة التي كانت تلتزمها خلال العشرين سنة الماضية . كما أن قبضة الاتحاد السوفييتي على ألمانيا الشرقية لم تعد كما كانت من قبل .

ولن تتم وحدة ألمانيا إلا عندما يسمح بها الاتحاد السوفييتي ، الأمر

الذي بدأت تظهر بشائره فالاتحاد السوفيتي يبيع بترول له إلى ألمانيا الغربية، وقد بدأ مد الأنابيب التي ستحمل الغاز الطبيعي السوفيتي إلى ألمانيا الغربية. ما هي دلالة ذلك؟ سينتهي الأمر بألمانيا الغربية بأن تصبح معتمدة على البترول والغاز السوفيتي، كما تعتمد فرنسا على بترول الشرق الأوسط.

أضف إلى هذا أن الاتحاد السوفيتي قد تبين حاجته إلى ألمانيا الغربية، كحاجته إلى بضائعها الاستهلاكية، وبخاصة تلك التي تعتمد على عمليات تكنولوجية متقدمة.

ومما يساعد على هذا التقارب، أن أعضاء الحكومة السوفييتية الذين يتذكرون الخراب الذي لحق بروسيا في الحرب العالمية الثانية على يد الألمان، تبلغ أعمارهم في المتوسط ٧٥ سنة. وهم قد بدأوا يتخلون عن أماكنهم، بالوفاة أو التمتع، لجيل أكثر شباباً، لا تدور ذاكرته حول ثورة ستالينجراد.

الروس أقلية في الاتحاد السوفيتي

وماذا عن الاتحاد السوفيتي ذاته؟

الاتحاد السوفيتي مقبل على أيام صعبة. فهو سيواصل تبني سياسة سبق التسليح على حساب الاستهلاك، الأمر الذي سيظل يمتص الدماء من جسد الاقتصاد السوفيتي عاماً بعد عام. كما أن الاتحاد السوفيتي قد تجاهل طويلاً الثورة التكنولوجية الحديثة التي تعم باقي الدول المتقدمة.

وقيما عدا مجال التسليح ، ليس لدى الاتحاد السوفييتي قاعدة تكنولوجية صلبة .

لقد أعطى السوفييت عقد أنابيب بترول سيبيريا إلى شركة «كاتريبار» للمقاولات ، لأنهم لم يستطيعوا مد هذه الأنابيب بأنفسهم . كما أن برنامجهم للقضاء ليس متوقفاً ويتخلف عن البرنامج الأمريكي بخمس سنوات على الأقل .

لقد كان للاتحاد السوفييتي فضل الريادة والتقدم في أبحاث الاندماج النووي منذ عشرين سنة . وهو الآن يتراجع إلى الخلف في هذا السباق . كما أن الروس ما زالوا يعانون من نقص في مجالات الغذاء والاسكان .

ثم هناك نقطة هامة تكتسب أهمية متزايدة على مر الأيام فابتداء من هذا العام ، ١٩٨٥ ، يصبح الجنس الروسي أقلية في الاتحاد السوفييتي . وبهذا سيواجه الاتحاد السوفييتي لأول مرة حالة من عدم الاستقرار الشديد ، تأتي عادة مع حكم الأقلية .

الصين تعبر إلى العصر الإلكتروني

وعلى العكس من هذا يكون موقف الصين . التي كانت تعتبر منذ حوالي ٣٠ سنة من بين الدول المتخلفة ، ثم قفزت فقرة هائلة ، جعلتها تدخل القرن الحادي والعشرين أقوى مما كانت في أي وقت مضى . وأيضاً ، بعكس اليابان ، لدى الصين بترولها الخاص ومعادنها ، بل أنها لا تدفع مالا لاستخراج بترولها من باطن الأرض . فقد طلبت الصين من

شركات التنقيب عن البترول أن تحفر في أراضيها بحثاً عنه، على أن تنقاضي هذه الشركات أجرها من البترول الذي تعثر عليه.

كما أن الصين قد عبرت إلى العصر الإلكتروني في خطوة واحدة، بشراء المصانع الأمريكية الكاملة، واستقدام المديرين من أمريكا لتشغيل هذه المصانع إلى أن يتدرب المديرون الصينيون على هذه المهام، ويحلوا محل الأمريكيين.

ومع أن الصين بها الآن، مليون خط تليفوني تخدم ألف مليون مواطن، إلا أنها بدأت في إنشاء شبكة جديدة من المخطوط التليفونية التي تعتمد على كابلات الألياف البصرية، لتحقيق بهذا ثورة في الاتصالات التليفونية. وهي تخطط حالياً لكي يكون لديها في الثمانينيات قمران صناعيان على الأقل من اقمار الاتصال، يعملان على تغطية كافة احتياجات الصين الاعلامية. كما بدأت في استخدام اكبر جرارات زراعية في العالم، لتحقيق لنفسها اكتفاء ذاتياً في امدادات الطعام.

الشرق الأوسط . . أسخن مناطق العالم

وعند استعراض الكتاب مستقبل الدول عند مطلع القرن القادم، يقتصر على أهم الدول، التي يكون لوضعها وحجمها ودرجة تطورها، تأثيره على مجموعة من الدول الأخرى. فيكتفي الكتاب باستعراض مستقبل السويد، معتبراً أنه بذلك يتحدث عن مستقبل الدنمرك وفنلندا والنرويج، لأن هذه الدول تتبع نفس نمط السويد، وتتأثر بها.

يقول المؤلفان «دعنا نبدأ بمنطقة الشرق الأوسط، أكثر المناطق سخونة في العالم كله، ومصدر ما يقرب من نصف بترول العالم، وما لا يقل عن نصف التوتّر العالمي» فليس هناك مكان على الأرض كالشرق الأوسط، حيث تقوم دولة إسرائيل الصهيونية، محاطة بدول البترول العربية الغنية. لقد قامت حتى الآن ثلاث حروب كبرى بين الدول العربية وبين عدوتهم اللدود. . وتتواصل حالة مستمرة من التوتر بين الطرفين، لعل خير ما يعبر عنها ذلك الهجوم الاسرائيلي عام ١٩٨١ على مفاعل الابحاث النووية الذي كانت فرنسا قد بنته للتو من أجل العراق، على بعد حوالي ٢٠ كيلو متراً من العاصمة بغداد. لم يحدث في أي بقعة من العالم، أن هاجمت دولة مفاعلاً ذرياً تقيمه عدوة لها. . ولعل هذا من بين ما يصور درجة عدم الاستقرار العالية التي يعاني منها الشرق الأوسط.

إسرائيل دولة غير مستقرة

ولا يمكن أن يتحدث الإنسان عن عدم الاستقرار في الشرق الأوسط دون أن يشير إلى حالة عدم الاستقرار التي تهدد دولة إسرائيل. إن ما يبقي على إسرائيل متعاسكة حتى الآن. ألتها العسكرية المتميزة، وقدرتها على تسديد الضربات المخاطفة لمن حولها.

إذا القينا نظرة متفحصة على إسرائيل، سنجد أنها لا تمتلك مصادر طاقة خاصة بها، وليس لديها أي مصادر طبيعية تقريباً، اقتصادها مريض بشكل مزمن، لا ماء، وأعلى معدل للتضخم في العالم. صادراتها الرئيسية

هو الزهور والفواكه الحمضية التي تبيعها إلى أوروبا الغربية ، فإذا تمكنت اسبانيا والبرتغال من دخول السوق الأوروبية المشتركة ، كما هو متوقع ، وهو ما حدث بعد صدور الكتاب ، فستفقد إسرائيل سوق تصدير زهورها وحمضياتها . لأن أسبانيا والبرتغال ستقدمان انتاجها بعد ذلك إلى السوق المشتركة بسعر تفضيلي .

وإسرائيل دولة منقسمة على نفسها من الناحيتين السياسية والدينية . وليس هناك ما يوضح هذا الوضع أكثر من الواقعة التي جرت في يوم الغفران عند بداية حرب ١٩٧٣ . فأول خسائر بشرية إسرائيلية سجلت في هذه الحرب ، كانت تتعلق بالجند الذين يحتلون الدراجات البخارية ، والذين قتلوا بينما كانوا في طريقهم إلى الجبهة ، نتيجة للسلاسل التي مدها عبر الشوارع بعض المتعصبين اليهود . الذين اعترضوا على الذهاب إلى الحرب في يوم السبت (وهو اليوم الذي يحرم فيه العمل طبقاً للشرعة اليهودية) كما أن الاصطدامات التي تقوم بين اليهود والعرب في الأراضي المحتلة تتزايد يوماً بعد يوم .

وهناك تبايناً هائلاً في معدلات المواليد بين اليهود والعرب المقيمين في إسرائيل ، فالمرأة اليهودية تنجب بمعدل ١,١ طفل ، بينما تنجب المرأة العربية بمعدل ٦,٨ طفل . وهذا لا يتسبب فقط في زيادة ما هو قائم فعلاً من توتر خطير ، بل هو يجعل يهود إسرائيل اقلية في دولتهم بحلول عام ٢٠٠٠

هل تفقد تعاطف الغرب؟

كما أن هناك صراعات متزايدة بين اليهود أنفسهم ، فالتقارير تتوالى عن تزايد مظاهر التفرقة العنصرية التي يعاني منها يهود المشرق على يد اليهود الحاكمين القادمين من أوروبا وأمريكا . . . وأيضاً ، داخل يهود إسرائيل ، يعتبر يهود المشرق أكثر تناسلاً وتزايداً عددياً ، مما يوحي بأن يهود المغرب لن يتمكنوا من الاحتفاظ بسيطرتهم السياسية والاقتصادية في المستقبل .

وفوق هذا وذاك ، بدأ اصداقاء إسرائيل في الغرب يفقدون صبرهم تجاه السياسات الاسرائيلية ضيقة الأفق بالنسبة للمناطق المحتلة ، وبالنسبة لانشاء المستعمرات في الضفة - الغربية ، وبالنسبة لموضوع الفلسطينيين ، وهكذا تضع إسرائيل شوكة كبرى في طريق وجودها . فما زال بإمكان إسرائيل أن تتخلى عن الضفة الغربية ، وأن تسمح بدولة فلسطينية مستقلة فوق تلك الأرض ، وأن تقوم في نفس الوقت بمحاولات جادة للتعايش مع جيرانها العرب .

إذا ما عادت إسرائيل إلى صوابها ، وحدث ذلك ، استطاعت أن تقيم سوقاً لتصدير اسلحتها الحديثة . وامكنتها أن تدخل القرن الحادي والعشرين اقوى مما كانت في أي وقت آخر . أما إذا واصلت سياساتها المشنجة فإنها ستفقد تعاطف الغرب المتعطش إلى البترول ، وتصبح تحت رحمة الغضب المتزايد للعالم العربي .

صانعة المتاعب

ويتكلم الكتاب عن ليبيا باعتبارها صانعة المتاعب في الشرق الأوسط فحب القذافي للمغامرة يبدو متزايداً مع الزمن، وتعقبه للمعارضين داخل وخارج ليبيا، وتصفيتهم جسدياً، وغزوه لتشاد جارتها، كل هذا أفقده سفاراته في الولايات المتحدة ونيجيريا والنيجر وموريتانيا. ولا يجد القذافي لنفسه صداقات في جامبيا والسنگال والسودان ومالي، وبصفة خاصة في مصر. لقد كفت فرنسا منذ وقت عن محاولتها للوصول إلى تفاهم مع القذافي، وهي تنظر إليه الآن كعدو لدول شمال إفريقيا التي تتكلم الفرنسية. وما زال لدى القذافي البترول الوفير الذي ينفق منه على مخططاته، ولكن هناك بعض العلامات التي تفيد أن احتياجات البترول الليبي ليست بالضخامة التي يتصورها البعض. ومن بين هذه العلامات، أن ليبيا بدأت البحث عن البترول في مناطق الحدود المتنازع عليها، مما قد يجلب عليها المتاعب.

ورغم وجود بعض مؤشرات عدم الاستقرار في ليبيا، إلا أن الشعب الليبي يبدي وحدة قومية ملحوظة وقد يوصف القذافي بأنه مغامر وارهابي ومتعصب دينياً، إلا أنه يبدو مع هذا زعيماً قوياً.

ومع ذلك، فالقذافي هو ذاته الد أعداء نفسه. وهو لا يجد الآن حليفاً إلا في سوريا وإيران ومسلمي لبنان. وإذا ما تمادى في مغامراته، وحاول الاعتداء على أي من الدول القوية المجاورة، فمن المستبعد أن تهب سوريا إلى نجدته في صراعه.

إذا حدث هذا. ونحن نتوقعه، فإن نظام القذافي سينهار.

كل شيء محتمل

أما في إيران، فكل شيء محتمل خلال العشرين سنة القادمة.

من بين الاحتمالات التي قد تتعرض لها إيران، حدوث انقلاب يعيد الشاه الصغير، ويحل البرلمان (المجلس)، مما يترتب عليه تمزق الدولة بين الاكراد والاذريجانيين وتجمع الجناح اليساري الاسلامي، والذي يتضمن حزب توده الشيوعي، والفدائيين، والتنظيمات الاسلامية اليسارية كالجهاديين. ستظل القوضى سائدة على المسرح السياسي الايراني للسنوات العشر القادمة على الأقل.

إذا لم يحدث ذلك التمزق، سيظل حزب الجمهوريين الاسلاميين اليميني المتطرف مسيطراً، وسيحاول أن يصدر ثورته إلى خارج إيران، بعد موت الخميني، وبعد أن يحل محله داعية جديد أكثر شبيهاً.

ستعاني إيران اقتصادياً، فمن المتوقع أن تقلص عائدات البترول، وترتفع نسبة البطالة، وأن يصل التضخم إلى معدل لا يقل عن خمسين في المائة. وإذا كانت إيران تبدو معرضة للتقلبات خلال الثمانينات، فإنها ستبدو أكثر تعرضاً في التسعينيات. حيث، لا يتوفر لها القدر الكافي من الثروة البترولية. التي تتيح لها فرصة ثانية للقيام بحركة تصنيعية كالتي بدأها الشاه، وتوقفت في عهد الخميني.

عندما يقتضي الأمر اطعام ٣٠ مليون فم، تعتبر الصناعة الأمل الوحيد أمام الدولة الايرانية.

دول العالم الرابع

ومع كل عوامل عدم الاستقرار التي تسود الشرق الأوسط، فإنه لن يصل في اهتزازه واضطرابه إلى ما تتوقعه لمعظم دول أفريقيا السوداء، على مدى السنوات العشرين القادمة.

فلا توجد في العالم قارة من القارات تضم مثل هذا العدد من الدول غير المستقرة، والتي نطلق عليها دول العالم الرابع، الدول التي ليس لديها من مصادر الدخل سوى تعداد سكانها، الذي يكون لسوء الحظ أكثر مما يجب.

الدول مثل موريتانيا وتشاد والنيجر واريتريا وجمهورية أفريقيا الوسطى والسنغال ومالي وجامبيا وقولتا العليا؛ كلها دول أفريقية تقع في ذيل قائمة الدول من حيث درجة الاستقرار، لأنها لا تمتلك المواد الخام أو مصادر طاقة في أراضيها.

توجد هناك ثلاث دول أفريقية فقط نتوقع لها استقراراً عالمياً حقيقياً هي: نيجيريا وجنوب أفريقيا وزيمبابوي (والتي كانت تعرف أيام الاستعمار الانجليزي باسم روديسيا). وحتى هذه الدول الثلاث تواجه فترات رئيسية من عدم الاستقرار. فالتزايد السكاني المطرد في نيجيريا يهدد بتناقص امدادات الطعام، وعائداتها من البترول. وسياسة التفرقة العنصرية تزيد من التوتر السياسي وعدم الاستقرار في جنوب أفريقيا، كما أن تعدد الفئات القبلية التي تقاتل بعضها في زيمبابوي ستضعف من قوتها السياسية.

مشاكل نيجيريا

إن النجاح الذي صادفته جهود نيجيريا حتى تبقى عضواً قوياً في العالم الثالث، يبدو أنه يعتمد على العديد من المعجزات.

ففي مواجهة وضعها كدولة مستوردة للطعام الذي يكفي لإطعام شعبها المطرد الزيادة (حوالي ٦٠ مليون حالياً)، شرعت نيجيريا في تطبيق ثورة خضراء، بهدف أن تحقق لنفسها الاكتفاء الذاتي في حاجتها من الطعام، لكنها لم تتوصل إلى تدبير المال اللازم لانجاح هذه الثورة الخضراء. وفي نفس الوقت، تعتدي الصحاري الشمالية على الأرض الزراعية الموجودة.

وما زالت نيجيريا تفتقد القدر الكافي من العمالة الماهرة التي تحتاج لها في استخراج بترولها، وقد ينتهي بها الأمر إلى الاعتماد على العمالة التي تستقدمها من الخارج. وسياستها في تحديد أسعار بترولها متذبذبة، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى فائض في الإنتاج، يقود بالتبعية إلى الاستغناء عن بعض العاملين في حقول البترول، مما يخلق حالة من عدم الاستقرار.

وحالياً، تقوم الحكومة المدنية الشابة بإجراءات متروكة لنقل البلاد إلى الحكم المدني، بسبب الانشقاقات الكثيرة داخل ما يعتبر عدداً من الأحزاب السياسية، ففي كل ولاية من الولايات النيجيرية، البالغ عددها ١٩ ولاية، يوجد على الأقل حزبان رئيسيان، ومع ذلك، فما زالت الحكومة المدنية مطالبة بتقسيم البلاد إلى عدد أكبر من الولايات، ومطالبة

بالا تسمح للقوى البيروقراطية بأن تخرج عن سيطرتها، وبأن تحقق نوعاً من العدالة في توزيع خطط التنمية بين الولايات المتخلفة، وأن توظف عدداً متساوياً من كل ولاية في الوظائف الحكومية. فهل تقوى الحكومة النيجيرية على تحقيق هذه المطالب المتزايدة؟

صراع الشمال والجنوب

ثم هناك أيضاً، الانشقاق الكبير بين الشمال والجنوب، والذي يزيد تعاضماً. وحتى مع التأييد الشعبي الواسع، الذي تكتسبه فكرة التعليم الإلزامي العام، إلا أن هذه الفكرة لن تفيد كثيراً في إعادة التوازن بين الشمال والجنوب، فالجنوبيون يتدفعون للحصول على المكاسب من خلال السياسة التعليمية الجديدة وعلى حساب الشماليين. ومع وجود أزمة شاملة في المدرسين، فالأزمة تبدو أشد في الشمال.

والعديد من أهل البلاد قد هاجروا من الريف إلى العاصمة لاجوس، التي سيصل تعداد سكانها عام ١٩٨٦ إلى أربعة ملايين، والتي تتزايد فيها معدلات البطالة والجريمة بشكل مطرد مع تزايد عدد السكان. ويقول الكتاب إن نيجيريا مصابة بمرض يطلق عليه اسم «الأمال المتعالية».

وتعتبر نيجيريا اليوم من الدول الغنية نتيجة لثروتها البترولية. وإذا لم توفق في العثور على مستودعات كثيرة جديدة للبترول في أراضيها، فلن تصبح من الدول الغنية بترولياً، في طرف عشر سنوات. الأمر الذي سيضيع الفوضى في أنحائها، ويعيد إليها حقبة الحروب الأهلية التي عرفتتها في تاريخها القريب.

التوقعات الطبية والسببة

تواجه زمبابوي حالة قريبة من الاستقرار، لكنها يمكن أن تصبح أكثر استقراراً من نيجيريا عند بداية القرن القادم. ومنذ الوقت الذي تسلم فيه روبرت موجابي زمام الحكم من البيض، تحقق القليل من التوقعات الطبية والسيئة بالنسبة للحكومة الجديدة.

الأقلية البيضاء الضئيلة، والتي ما زالت تمثل لب التكنوقراطية في البلاد، لم تغادر البلاد عندما تسلم موجابي السلطة. فقد بدأ الرئيس الجديد مستعداً لأعطاء الضمانات بتوفير عدد من مقاعد البرلمان للبيض، ولتعويض المزارعين البيض عن الأراضي التي تسلمها السود، وتعويض الموظفين البيض عن وظائفهم التي اسندت إلى السود.

وفي نفس الوقت، يتشغل آلاف المحاربين فيما وراء الحدود بالحرب فيما بينهم، بدلاً من محاربة الحكام البيض. والاستثمارات الأجنبية تقف متلكئة، رغم الفرص الواسعة التي كان بإمكانها الاستفادة منها، بالنسبة لثروات البلاد الطبيعية. المستثمرون يقفون موقف المراقب في انتظار خطوات موجابي التالية في البلاد. خاصة وبعد أن جاء على لسان موجابي ذكر تأميم المناجم، مما جعل بعض المستثمرين يجفلون لمجرد طرح الفكرة.

لقد وعد موجابي بتعليم أولي بالمجان، وبرعاية طبية مجانية، بالرغم من النقص الشديد الذي تعاني منه البلاد بالنسبة للمدرسين والأطباء والمرضى. وزمبابوي تعاني من نفس المرض الذي تعاني منه نيجيريا،

مرض «الأمال المتعالية». والتي تفوق القدرات الفعلية. وللأسف، ستمضي زمبابوي السنوات القليلة القادمة في حالة اقرب إلى الفوضى، حتى يطبق النظام الذي يجب أن يسود البلاد.

جنوب افريقيا . . دولة المتناقضات

في قارة المتناقضات، لا تظهر دولة من دول القارة الافريقية ما تبليبه جنوب افريقيا من متناقضات.

لقد تدفقت الاستثمارات الغربية على جنوب افريقيا، جاعلة من اقتصادها المتصاعد، أحد اقوى النظم الاقتصادية في العالم. وسياساتها الجديدة، التي لم تتضح معالمها بعد، توحى بتغيرات في سياساتها العنصرية، صادراتها من الذهب والمعادن والطعام في أوج قمتها.

ورغم أن صحافة افريقيا السوداء تهاجم يوماً جنوب افريقيا، فإن حجم تجارة جنوب افريقيا مع افريقيا السوداء بلغ اليوم حجماً كبيراً لم يحدث من قبل. وهجمات الفدائيين السود في عام ١٩٨٠، التي حطمت العديد من مشروعات استخراج الفحم السائل، لم تتكرر عام ١٩٨١.

وبالاضافة إلى امتلاك جنوب افريقيا لمستودعات كبيرة من الفحم، جعلتها الدولة الخامسة عالمياً في هذا المجال، فهي تمتلك أيضاً أكثر مصانع العالم تطوراً في تحويل الفحم إلى وقود سائل. ولأنها غنية جداً بمعادنها، فهي توفر العمالة لمئات الآلاف من العمال السود، من بتسوانا، وليسوتو، وزمبابوي، وانجولا، وسوازيلاند، وموزمبيق. وهي تمد هذه

الدول أيضاً بالخدمات التليفونية والكهرباء .

من الواضح أن جنوب أفريقيا تتمتع هذه الأيام بحالة انتعاش ، نتوقع أن يتواصل في الثمانينيات .

هل انتجت القبلة الذرية؟

وفي نفس الوقت توجد بعض المؤشرات المزعجة ، التي تعم جنوب أفريقيا كلها . فما زالت الشرطة من البيض لا تخجل من قتل السود لاختلال المظاهرات والاضرابات . وما زال السود يعانون من الفقر ، وما زالت تحدد اقامتهم خارج المدن .

ومن الواضح أن دولة جنوب أفريقيا يصدد انتاج القبلة الذرية ، إذا لم تكن قد انتجتها فعلاً . ولا توجد أية مؤشرات توحي بأن الحزب الوطني ، الذي ظلت السلطة في يده على مدى ثلاثين عاماً ، يتعرض لأي تهديد بفقدان قوته . وبالرغم من وجود رأي عام متزايد في داخل اوساط الحزب حول سياسة التفرقة العنصرية التي ينتهجها ، فإن الحزب يلاقي مساندة كاملة في كل سياسة عنصرية يختارها .

وما زالت البطالة مرتفعة بين السود ، وهو أمر طبيعي طالما أن الأعمال التي تحتاج إلى مهارات تكنولوجية في اقتصاد جنوب أفريقيا محرومة على السود . ومع ذلك ، فلا يوجد لدى حكومة جنوب أفريقيا القدر الكافي من العمالة البشرية الماهرة من البيض . وإذا ما اضطرت جنوب أفريقيا إلى استخدام جيشها في أي وقت قريب ، فإن هذه الندرة في العمالة الماهرة

ستتحول إلى أزمة حقيقية، مما سيوقف الازدهار الحالي في اقتصاد البلاد.

وإذا كانت جنوب أفريقيا تتمتع اليوم بحالة من الازدهار، فإن هذا الازدهار لن يستمر إلا إذا حدثت تغيرات أساسية في سياستها العنصرية. وإذا لم تتبدل السياسة العنصرية فإن هجمات الفدائيين على مناجم الذهب والفحم السائل ستعود. وسيكون لدى الفدائيين هدف جديد يسيل لعابهم، نعني بذلك مصانع اليورانيوم المتكاثرة. إذا تمكن الفدائيون من نسفها أو تخريبها، فسيكون في هذا هزيمة سيكلوجية ضخمة للنظام الحاكم. ويجب التأكيد هنا على أنه إذا كان لجنوب أفريقيا أي تأثير عالمي فإنها تستمد من قوتها الاقتصادية. وأي اهتزاز في اقتصادها سيؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار.

وإذا واصلت حكومة جنوب أفريقيا البيضاء تعلقها بالتعصب الذي كرسَتْ نفسها له، من أجل تحقيق المجتمع الانفصالي، فإن حكومة الأقلية البيضاء ستسقط في وقت ما بين ١٩٩٠، ٢٠٠٠.

* * *

ثم، ننتقل بعد ذلك إلى مصائر باقي دول آسيا وأوروبا.

الفصل الرابع

آسيا وأوروبا . .
إلى أين؟

القليل من مناطق العالم ستكون أقل استقراراً من دول القارة الآسيوية خلال العشرين سنة القادمة. وعند دراسة المؤشرات الحيوية لدول القارة، يصعب، أو يستحيل تقريباً، التنبؤ بأي نوع من الاستقرار في الهند وباكستان وبنجلاديش وسري لانكا. أما كيف استطاعت هذه الدول أن تدبر أمر استمرارها كدول منفصلة حتى الآن فهو سر من الأسرار فليس لدى أي دولة من هذه الدول المواد اللازمة من الطاقة، أو المواد الخام الضرورية، أو القدرة الصناعية. . الشيء الوحيد الذي تمتلكه كل منها هو: تكديس من الادميين تعجز عن إطعامه.

الهند، لا يساعدها على أن تبقى على حالها، سوى حجمها وموقعها من العالم، ولأنها ما زالت أكبر دولة ديمقراطية على الأرض، وبسبب موقعها الذي يتيح لها أن تتحكم في المحيط الهندي. وقد استطاعت الهند أن تلعب على التناقض بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، فتحصل على المعونات من كل منهما. ونفس الشيء ينسحب على باكستان، وإن كان على قياس أصغر.

والهند، بالإضافة إلى الفقر الذي يصل إلى حد الإذقاع، تعاني من الصراعات الداخلية البالغة الحدة. سكان الحضر يحتقرون سكان

الربف. والهندوس يكرهون المسلمين. ونظام الطبقات الاجتماعية المغلقة يمنع تكوين طبقة وسطى، يمكن أن تخرج البلاد من فقرها. بالإضافة إلى أن الهنود يتكلمون عدداً كبيراً جداً من اللغات، مما لا يعطي البلد إحساساً بالهوية القومية. حتى سمعتها الديمقراطية قد بدأت تهتز. والعلة الكبرى التي ارتكبتها أنديرا غاندي، هي إنفاق الأموال المخصصة للمشاريع الزراعية في تطوير صناعة القنبلة الذرية. وقد أثار تفجير القنبلة الأولى، غضب الشرق والغرب معاً، وهما المصدر الوحيد للتسويل المنتظم بالنسبة للهند. والنتيجة الأخيرة لتفجير القنبلة الذرية الهندية، هي تشجيع باكستان على أن تبدأ فبيلتها الذرية، وهي حركة من باكستان الفقيرة، سببت الأيام أنها أكبر من خطأ القنبلة الهندية.

أستراليا تنطلق

وعندما يتأمل الإنسان المستقبل المظلم الذي ينتظر الهند، يصعب عليه عدم عقد مقارنة مع المستقبل المضيء الذي ينتظر مستعمرة سابقة أخرى من مستعمرات الكومنولث البريطاني، نعني بذلك أستراليا.

كل ما ينقص الهند، تجده في أستراليا بوفرة. . المحسم، والبتروول، والعاز الطبيعي، واليورانيوم، والبوكسيت، والححاس، والحديد، والكروم. . . وكل ما تتفوق به الهند هو تعداد سكانها.

ومن بين ما يحقق المركز القومي المستقر لأستراليا انخفاض عدد سكانها، والذي لا يتجاوز ١٤ مليوناً، معظمهم يعيش في المدن الكبرى على امتداد السواحل.

وتكاد تكون معظم المؤشرات الحيوية الخاصة بأستراليا مشيرة إلى الصعود. لديها أكثر النظم السياسية استقراراً، ولديها إحساس قوي بالوحدة الوطنية، وليس بها انقسام كبير في اجناس سكانها، أو عقائدهم، أو أديانهم. والجميع يتكلم نفس اللغة. كما أن أستراليا كان لها أيضاً حسن الإدراك الذي جعلها تفتح أبواب البلاد للهجرة من الهند الصينية، وتعترف بحقوق السكان الأصليين للبلاد.

ومن المتوقع أن تصبح أستراليا أكثر قوة مع مرور الأيام. وهي تتمتع باكتفاء ذاتي في كل أشكال الطاقة وسيصبح بإمكانها أن تصدر الفحم واليورانيوم والعديد من المعادن على مدى السنوات الطويلة القادمة. ولديها وفرة من الحديد والغاز الطبيعي، مما يوفر مستلزمات صناعة الصلب، الذي تستطيع أن تنتجه بأسعار منافسة عالمياً. وحتى الطعام سيصبح من أهم صادرات أستراليا. ونظراً لأنها بطبيعتها محصنة ضد الغزو، فإن نقطة الضعف الوحيدة فيها قد تكون جيشها، الذي يعد من أصغر الجيوش بالنسبة لدولة في وضعها.

وخلال العشرين سنة القادمة، ستصبح أستراليا أكثر دول العالم ازدهاراً، وسيتاح لها أن تحتل دور الزعامة الإقليمية.

اليابان تستورد ٩٦ في المائة من طاقتها

وازدهار أستراليا في العشرين سنة القادمة، سيقابله هبوط في وضع اليابان. ولا عبرة هنا بما يبديه اليابانيون من عدم تصديق لهذه الحقيقة.

ستكون المعجزة الحقيقية في الوقت الذي ستبقاه اليابان في القمة.

اليابان تعثر أكثر دول العالم اعتماداً على الغير في استيراد الطاقة، كما أنها تفتقد ما تحتاج إليه من معادن ومواد خام. ومع كونها أكبر دولة مصدرة في العالم، فهي مرعومة على استيراد كل مادة خام تستخدمها لإنتاج ما تصدره. ومع ما في هذا الوضع من سوء، فإن الأمور ستزيد سوءاً مع الزمن. فاليابان تستورد الآن ٩٦ في المائة من طاقتها، وفي عام ١٩٩٠ سيكون عليها أن تستورد ٩٨ في المائة.

وهناك تحديات أخرى على اليابان أن تواجهها. فخلال السنوات العشر القادمة، سيحال إلى المعاش من ٢٠ إلى ٢٥ في المائة من طاقتها البشرية العاملة، بمعاشات تصل إلى ٨٠ في المائة من الأجور الأساسية. ومن المعتقد أنه سيكون من الصعب على اليابان أن تنفي بهذا، مما سيؤدي إلى وضع لمن يحصل فيه العامل على ما يتوقعه من زيادة في الأجر تناسب الارتفاع في إنتاجه. لماذا؟... لأن إنتاجية هذا الشعب العجيب قد وصلت إلى غاية ارتفاعها. لقد جمعت شركة تويوتا رواتب العاملين الذين يتحاورون الأربعين من العمر بداية من عام ١٩٨٥، كما ستلجأ داتسون إلى تحميد شيه. وستضطر اليابان إلى التحول إلى مصانع التسيير الذاتي (أوتوماشين) عن طريق الإنسان الآلي (الروبوت)، حتى تحتفظ بمستوى إنتاجيتها، الأمر الذي سيرفع نسبة البطالة من معدلها الحالي وهو ٢,٥ في المائة، إلى ١٢ في المائة عام ١٩٩٥.

ومن المتوقع أيضاً أن ينخفض الإنتاج، فإنتاجها الذي كان يرتفع

بمعدل ١٠ في المائة كل سنة منذ عشر سنوات ، هبط منذ بداية الثمانينات إلى ٥ في المائة ، ومن المتوقع أن يهبط إلى ما هو أقل من ٢ في المائة عندما يصل إلى عام ١٩٩٠ .

من الواضح أن ضياء المعجزة اليابانية أخذ بالخفوت . ومع ذلك ، ستظل اليابان قوة توازن رئيسية في آسيا ، وبالنسبة للعالم الصناعي كله . والعديد من مؤشراتها الحيوية سيظل متجهاً إلى أعلى . ففيها واحدة من أعلى نسب محو الأمية في العالم ، وتقييمها للتعليم لا تحظى به إلا دول معدودة في العالم . ولدى اليابان أعلى مدى من العمر البشري ، ولعل مرجع هذا جزئياً إلى أن معدل الحرائم بها يعتبر من أقل المعدلات العالمية .

الصين عائمة فوق ثروة معدنية

وبح انحصار تاتير اليابان على العالم ، يترايد مدير الصين عليه . فبينما لا تملك اليابان أي مصدر من مصادر الطاقة أو المواد الخام أو الزراعات التي تحتاج إليها ، نجد الصين عائمة فوق ثروة طائلة من التترول والغاز والفحم ، وأية مادة خام تحتاج إليها في صناعتها . كما أن إمكاناتها الزراعية مستقبلاً ، كبيرة إلى حد بعيد .

وتعتبر الصين منخلفة بثلاثين سنة بالنسبة لباقي العالم الصناعي ، ولعل مرجع ذلك جزئياً إلى قرار ماوتسي تونج ، الذي قضى بإغلاق أبواب الصين على نفسها ، حتى تنتهي من تنظيف نفسها من الفساد السياسي السابق .

كما أن اليابان لن تتحدر بين يوم وليلة ، فالصين لن تصعد بين يوم وليلة . ولكن تذكر شيئاً واحداً لحساب الصين ، وهو أن المؤشرات الحيوية لشعبها ، تتضمن نقبلاً صبوراً للأهداف المؤجلة ، الأمر الذي لا يطمح في الوصول إليه إلا عند محدود من الدول .

ورغم أن الصين غير متعجلة للتفوق على جارتها ، إلا أنها ستفوق عليها .

ومن أهم التغيرات التي أخذت تظهر معالمها في الصين ، فصل الحكومة عن الحزب الشيوعي . فالوظائف الحكومية لن تستند لقادة الحزب ، والعكس صحيح ، الأمر الذي سيؤدي بلا شك إلى كفاءة كل من الحكومة والحزب .

البطل الرياضي العجوز

ولكن ، ماذا عن الاتحاد السوفيتي ؟ وماذا عن الدول التي تدور في فلكه ؟

سيظل الاتحاد السوفياتي من أكبر القوى العالمية ، ويخطيء من يتصور عكس هذا . فبالرغم من النقص المزمن في الحبوب ، والذي لا يمكن أن يتوقف بسبب الرياح القطبية الشمالية . فالإتحاد السوفيتي من الدول المكتفية ذاتياً ، لديه ما يكفي من البترول والغاز والعصم واليورانيوم ، وما يسمح بتصدير الطاقة إلى العالم العربي . كما أن الإتحاد السوفيتي لا يعاني نقصاً في المواد الخام .

ومن الناحية السياسية، تشبه مؤشرات المؤشرات الحيوية للطلس الرياضي اللائق صحياً رغم تقدمه في السن، قاده يتقدم بهم العمر، ولا بد أن يخلفهم قادة الجيل التالي (كان صدور الكتاب قبل تولي جورباتشوف للسلطة طبعاً). والسؤال الوحيد المطروح هو: ما مدى اقتدار قادة الجيل التالي وما هي توجهاتهم؟ يبدو أن من بين المهام المحتملة، إعادة النظر في السياسة الاقتصادية، لوضع المزيد من التأكيد على الجانب الاستهلاكي. فنقطة الضعف الكبرى في الاتحاد السوفيتي هي تجاهله لغريزة الاستهلاك عند المواطن.

وقدرة الاتحاد السوفيتي على ممارسة قواه عالمياً في العشرين سنة التالية لن تعتمد عليه وحده، بل على استجابات الغرب والصين. ولا شك أن الدولة الألمانية سيكون وجودها دعماً للتأثير السوفيتي، لكن النمرد البولندي سيضعف ذلك التأثير.

وهناك الكثير من الشك حول مستقبل العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبين دول حلف وارسو، وليس مع بولندا وحدها. لقد تحللت رومانيا ويوغسلافيا بالفعل من الارتباط بالسفينة الأم، وتراود المجر نفس الأفكار. وإذا ما حذا الآخرون حذو هذه الدول، فإن التأثير السوفيتي عالمياً سيتاقص إلى حد بعيد.

فهل يحدث هذا؟

فرنسا والمصاعب

ستمرد دول أوروبا الغربية ببعض التحولات العميقة من حيث استقرار أنظمتها، لكنها لن تواجه تغيرات رئيسية.

سيكون على فرنسا أن تتوقع انحداراً محدوداً في السنوات القادمة. سينخفض إنتاجها الصناعي إلى حد ما. ومن الناحية السياسية، ستمنع باستقرار للسنوات الأربع القادمة، حتى مع وجود حكومة اشتراكية تتولى أمورها للمرة الأولى - واعتمادها على بترول الخليج لا يساعدها كثيراً... وإن كان مما يعادل هذا اهتمامها بالاعتماد على الطاقة النووية في توليد الكهرباء. وستصبح فرنسا، مثل ألمانيا، من أكبر مصدري مشروعات الطاقة النووية، مما سيعود عليها بقدر لا يستهان به من العملات الأجنبية. إلا أن فرنسا ستعرض لمشكلة اقتصادية رئيسية. ففي عام ١٩٨٨، سيحل موعد الوفاء بوعود جيسكار ديستان الشهيرة حول العطاء الذهبي، مما يرجح تلقي الخزانة الفرنسية للقطعة أكيدة. لقد وضع ديستان قيوداً على السوق، وقدم ذهباً حقيقياً كغطاء لها، في وقت كان يباع فيه الذهب بأقل من ٥٠٠ دولار للأوقية.

سياسات قاتشر

وبينما يتوقع الكتاب التعثر لفرنسا، يتنبأ بصعود بريطانيا العظمى. فرغم أن بريطانيا تمر اليوم بظروف اقتصادية صعبة، إلا أن سياسات قاتشر توحي بأنها ستنجح، إذا ما توفر لها الوقت الكافي. ومن المتوقع أن

تتأثر ذلك الوقت ، وربما بسبب الانشقاق المتزايد داخل حزب العمال المعارض ، وإذا كان الإنجليز ما زالوا يتمتعون بمستوى معيشة مرتفع حتى الآن ، فمرجع ذلك من ناحية إلى بترول وغاز بحر الشمال ، ومن ناحية إلى وضعها المتفوق كإحدى العواصم المالية للعالم . وهي لا تواجه سوى مشاكل قليلة بالنسبة للأقليات ، فيما عدا الصراع الزمن الذي تسببه أيرلندا الشمالية ، والمشاكل المتصاعدة للهجرة إليها من أفريقيا وآسيا .

أما من ناحية الحركات الانفصالية في ويلز واسكتلندا ، فمن الواضح أنها حمدت ، وستبقى على خمودها طوال العشرين سنة القادمة .

أكبر المتاعب تواجه إيطاليا وإسبانيا

الدولتان اللتان تواجهان أكبر المتاعب في أوروبا الغربية . هما بوضوح إيطاليا وإسبانيا . . .

تأتي إيطاليا في الترتيب التالية مباشرة لليابان من حيث اعتمادها على الاستيراد في طاقتها ، كما أنها تعاني من عدم الاستقرار المزمن في أوضاعها السياسية ، ومن نسبة تضخم مرتفعة ، ومن الفوارق الصخمة في الدخل بين الأغنياء والفقراء ، ومن موجة إرهاب حادة أركعت القضاء الإيطالي .

والصناعة الإيطالية تعاني من الشلل بسبب السياسة الإيطالية . فقد تشكلت ٤١ حكومة إيطالية على مدى ٣٥ سنة مضت . والحكومة الإيطالية تمنح العمال أجر شهر إضافياً في كل سنة ، بالإضافة إلى منح

أخرى بمناسبة الكريسماس ، ومزايا على شكل إجازات وضمنان ضد الفصل حتى في أصعب الأوقات . مما يضع قيوداً مؤثرة على الصناعة الإيطالية . وما زالت إيطاليا دولة غير موحدة بمقياس عقول أبنائها ، فقوائم الناخبين تتضمن أكبر حزب شيوعي وأكبر حزب ملكي بين دول أوروبا الغربية .

وينسحب ما قلناه بالنسبة لأوضاع إيطاليا على إسبانيا إلى حد بعيد . فالحركات الإرهابية في الباسك وكاتالينا قد تؤدي إلى انفصال الولايتين . وإسبانيا تعاني من نفس فقر إيطاليا بالنسبة للطاقة . لديها مناجمها للفحم ، لكنه فحم من نوع رديء .

وإذا لم تنجح إسبانيا في دخول السوق الأوروبية المشتركة . وإذا ساءت الأوضاع الاقتصادية في أوروبا ، بحيث يضطر جموع العمال الإسبانين الذين يعملون في الدول الصناعية الأخرى إلى العودة إلى إسبانيا ، فلا ريب أنها ستواجه متاعب كبيرة .

كندا . . . السهم المنطلق

وماذا عن كندا؟

يرى الكتاب أن كندا ستكون إحدى أكثر دولتين رخاء ونمواً في العالم خلال العشرين سنة القادمة (باعتبار أن الدولة الأخرى ستكون الولايات المتحدة الأمريكية) .

وكندا ، شأنها شأن أستراليا ، لديها فائض من إمدادات الطاقة ، وما يبدو

بلا نهاية من المواد الخام تحت أرضها . ومستظلي على حالها كواحدة من أكبر الدول المصدرة للمحاصيل الزراعية . مشكلة كندا الوحيدة هي السياسة .

الاحرار لهم قوتهم في المدن ، والمحافظون تتركز قواهم في الأقاليم . نفس هذا الانقسام تجد له الصدى القوي في عقول أبناء كندا ، وثرأ كندا يعتمد في معظمه على المحافظات الغربية ، والتي قد تعتمد يوماً ما خلال العشرين سنة القادمة إلى أن تستقل بنفسها . إذا فعلت المحافظات الغربية هذا ، ستصبح أغنى دولة في العالم .

سنبقى الحركة الانفصالية في كويبك على هدوئها لسنوات قليلة قادمة ، لكن إذا ما نشطت الحركات الانفصالية في الغرب . فمن المتوقع أن تنشط تلك من جديد .

ويعاني الكنديون من أزمة هوية . . فهم لم يستقروا بعد على اتفاق حول : من هم ؟ وماذا يريدون أن يكونوا ؟ وإذا انقسمت كندا يوماً إلى ولايات مستقلة . فمن المتوقع أن تنضم الولايتان البحريتان الشرقيتان إلى الولايات المتحدة الأميركية .

الدول المنسية

وينهي الكتاب تنبؤاته لبعض دول العالم في العشرين سنة القادمة بالحديث عن أمريكا اللاتينية . والتي كانت على مدى زمن طويل مستودعاً للدول المنسية .

ويقول إن أقوى هذه الدول هي المكسيك بسبب بترولها وعازها، إلا أن هذه القوة قد أخذت تتناقص، نتيجة لتزايد السكان. الذي تخف حدة إلى حد ما بالتسلسل غير الشرعي من جانب العمال المكسيكيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وما زالت كولومبيا تحقق دخلاً لا بأس به من بيع حبوب البن. لكن استقرارها مهدد بسبب ارتباطها بالمخدرات، والتي أوشك عائد صادراتها أن يصل إلى صادرات البن.

وهناك لعتان تلاحقان البرازيل والأرجنتين: التضخم وعدم الاستقرار السياسي. فمئذ سنوات قليلة واجهت البرازيل الاضرابات العنيفة للطلبة والعمال بتكوين ستة أحزاب رئيسية جديدة، الأمر الذي لا يمكن اعتباره مؤثراً للاستقرار.

لقد وصل التضخم إلى ١٠٠ في المائة في عامي ٨٠ و ١٩٨١. والاحياء الفقيرة القدرة حول المدن يتواصل تصخمها، حيث يتزايد انتقال عمال الزراعة إليها، بعد فشلهم في الحصول على عمل أو سكن أو القادر الضروري من الرعاية الصحية.

ونفس المشاكل تواجه الأرجنتين. وإن كان على نطاق أقل.

هل تنتهي بوليفيا؟

وتعتبر بوليفيا أفقر دول أمريكا اللاتينية. وسبة محو الأمية فيها لن تزيد على ستين في المائة. ولديها عجز واضح في عدد الأطباء والممرضين،

ومع ذلك فسينخفض عددهم عن المعدل الحالي في السنوات القادمة .
وما زالت الاسبابية هي اللغة الرسمية في بوليفيا . رغم أن الهنود هم
الأغلبية . ويبدو مستقبل بوليفيا قاتماً ، إلى حد التنبؤ بعدم بقائها كدولة
مستقلة في عام ١٩٩٥ .

وإذا قدر للدول التي مثل بوليفيا أن تبقى ، فلا بد من تضافر جهود
الدول الصناعية في العالم لدعم هذه الدولة بالمعونة الخارجية . فعلى كل
دولة صناعية أن تقدم ثلاثة في المائة من مجموع إنتاجها القومي إلى
صندوق خاص بالمساعدات الخارجية . . هذا إذا أريد لدول العالم الرابع
أن تواصل وجودها .

حالياً ، تقدم السويد تسعة من ألف في المائة من دخلها للمعونات
الخارجية ، وتقدم الدول الإسكندنافية الأخرى أكثر من خمسة من ألف
في المائة . أما الولايات المتحدة الأمريكية فلا تدفع أكثر من واحد من
ألف في المائة من دخلها للمعونات الخارجية ، ويقدم الإتحاد السوفيتي
ما هو أقل من ذلك . من هذا نرى أنه لا بد أن يحدث تغيير في الأسلوب
الذي تدعم به الدول الغنية ميزانيات الدول الفقيرة ، حتى لا تتهاوى هذه
وتتحلل . فالاستقرار المطلوب لكل دول العالم يعتمد على هذا .

ترموتر دول العالم

ويحتتم الكتاب تنبؤاته بتلخيص الموقف . محدداً الدول الأكثر
استقراراً في نهاية السنوات العشر القادمة . ثم في نهاية العشرين سنة
القادمة .

وهو يرتب الدول تنازلياً من حيث درجة استقرارها كالتالي: الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا الاتحادية، أستراليا، كندا، اليابان، فرنسا، المملكة المتحدة.

وفي نهاية السنوات العشر القادمة، ستكون أكثر الدول استقراراً بالترتيب التنازلي التالي: الولايات المتحدة الأمريكية، أستراليا، كندا، المملكة المتحدة، الاتحاد السوفيتي، ألمانيا الموحدة.

وفي نهاية السنوات العشرين القادمة ستكون: الولايات المتحدة، أستراليا، كندا، المملكة المتحدة، ألمانيا الموحدة، فرنسا... أما الاتحاد السوفيتي فسيهبط إلى المرتبة السابعة، واليابان إلى المرتبة الثامنة.

ومن التغيرات اللافتة بالنسبة لباقي الدول، والتي تنطوي على تدهور سريع: تهبط بولندا من المركز ٩ إلى المركز ٤٢. إيطاليا من المركز ٨ إلى المركز ٢٠، ثم إلى المركز ٢٤ على المدى الأبعد. تهبط إسبانيا من المركز ١٥ إلى المركز ٢٥٢. وتهبط إسرائيل من المركز ١٤ إلى المركز ٢٣، ثم تصعد على المدى الأبعد إلى المركز ١٨، وفقاً لاختيارتها السياسية.

أهم ارتفاع في درجة استقرار الدول يتصل بالدول التالية: ريمبابوي من ٢٥ إلى ١٨، ثم إلى ١١ في المدى البعيد. جنوب أفريقيا من ٢٢ إلى ١١، نيجيريا من ٢١ إلى ١٢، ثم إلى ١٠ في المدى البعيد. ليبيا من ١٧ إلى ٨، ثم تهبط في المدى الأبعد إلى مركز ١٩.

الفصل الخامس

حرب . . أم سلام؟

عندما نصل الى عام ١٩٩٠ ، سيتجاوز تعداد العالم ٥.٣ بليون نسمة ، تكافح لعبور السنوات العشر التي تصل بها إلى القرن الحادي والعشرين .

ستمتلئ شوارع نيويورك وغيرها من العواصم الكبرى بالسيارات الكهربائية ، وستمتد أسلاك ملايين العقول الالكترونية إلى أماكن العمل والسكن . ستكفل رقائق السيليكون تشغيل المصانع والمصاعد وقطارات الأنفاق ، وضبط درجة حرارة الأماكن العامة والخاصة ، وبالتحكم في أضواء إشارات المرور .

لن يعود البترول هو السيد . أما العرب الذين ينتجون البترول في الشرق الأوسط فلن تصبح لهم قوة التأثير التي كانت لهم . ستصبح الكهرباء هي السيد ، الكهرباء المستمدة من الأفران النووية في كل مكان من العالم .

ومع كل هذه التغيرات التي سيشهدها العالم عندما نصل الى عام ١٩٩٠ ، فسبقى العديد من الأشياء على حاله تقريباً . ستظل القوة باقية في نفس الأيدي الضخمة التي استقرت فيها طوال ٤٥ سنة مضت . . القوى العظمى ستظل هي نفس القوى العظمى . . سيظل الاتحاد السوفيتي

والولايات المتحدة الأمريكية يتحكما في طرفي الواقع العالمي. ولن تظهر أية قوة جديدة تتحدى قيادتهما العسكرية للكتلتين الشرقية والغربية.

عندما نصل الى عام ١٩٩٠، لن تكون قد نشبت حروب كبرى، إلا أن الاتحاد السوفييتي الولايات المتحدة الأمريكية، سيبقيان يتربص كل منهما بالآخر، بعد التدهور الذي سيحدث في الوفاق العالمي، والذي سينتهي بالعزو السوفييتي لآيران واحتلالها.

لقد توقف نشاط حلف شمال الاطلسي «ناتو» وحل محله حلف شمال الاطلسي والباسفيك «ناتو»، وهو حلف يضم اليابان، ولا يتضمن ألمانيا الاتحادية. فقد خرجت ألمانيا الغربية من حلف شمال الاطلسي عام ١٩٨٨، لكي تبدأ مفاوضات إعادة توحيد شطري ألمانيا. وقبل هذا بعام واحد، ستكون الدولة الكورية قد توحدت بعد ٤٢ سنة من التقسيم.

القاعدة السوفيتية في أندونيسيا

وعملية توحيد ألمانيا هذه، ستكون الثمن الذي يدفعه الاتحاد السوفييتي، حتى تخرج ألمانيا الغربية من حلف شمال الاطلسي. عندما ينتهي الاتحاد السوفييتي من تحقيق هذا الهدف، سيولي اهتمامه للشرق، فيوثق روابطه بفيتنام، محاصراً النمر الصيني في الشمال. وفيقتام في ذلك الوقت ستكون قد احتلت جزءاً من أندونيسيا، وستكون قد حولت القاعدة الأندونيسية البحرية في «سورابايا» لخدمة الاتحاد السوفييتي. وهكذا يتحقق للسوفييت، آخر الأمر، حلم قاعدة في المياه الدافئة بالباسفيك.

ولكن أين هي الصين؟ . ستظل الصين طوال هذا تلعب دوراً سلبياً عجبياً، مختارة أن تبقى خارج الصراع، ومستغلة ذلك الوقت في دعم قوتها داخلياً. وفي هذه الأثناء، يتعرض باقي العالم للمناعصب والاضطرابات. فالتهديدات التي يخلقها صراع الغرب مع الشرق، ستسحب على كل مكان في العالم.

لشراة الذرية

ستحشد حركات التحرير لافريقيا السوداء في زامبيا وموزمبيق وزمبابوي قواتها على امتداد حدودها، لتقوم بمناورة عسكرية، تمهيداً لهجوم شامل ساحق على جنوب أفريقيا. وعبر جنوب الاطلنطي، وتتاقص البرازيل والأرجنتين في سباق لتطوير أسلحتها النووية، بعد رفضهما توقيع اتفاقية «نلاتيلسكو»، التي تحظر انتاج الاسلحة النووية في أمريكا اللاتينية.

تفجر باكستان سلاحاً ذرياً قوته ١٠ كيلو طن تحت الأرض، دافعة بذلك الهند الى تفجير قبلة قوتها ٥٠ كيلو طن في الجو، فوق الصحراء الهندية الكبرى. ويتبع هذا أن تعلن ليبيا عن تجاربها لانتاج أسلحة نووية، وتتلوها مصر، ثم اسرائيل، ثم حكومة جنوب أفريقيا، مما سيبعث موجات من الخوف عبر القارة السوداء والشرق الأوسط. ثم تتجه أنظار لعالم إلى المملكة العربية السعودية، حيث يعتبر التهديد بقيام ثورة، نهديداً لشريان البترول الذي يعتد إلى اليابان وأوروبا الغربية.

والغريب في الأمر، أن الولايات المتحدة الأمريكية ستكون أقل

اهتماماً بالحرب الأهلية في المملكة العربية السعودية من اهتمامها بالصراع الداخلي في المكسيك، والتي تمد الولايات المتحدة، في ذلك الوقت بحوالي ٧٠ في المائة مما تستورده من بترول.

ويرجع الدنب فيما يحدث من صراع في المكسيك إلى فيدل كاسترو، الذي تقدم به العمر، والذي يمد القوات الثورية المكسيكية بالمال والسلاح والتدريب، لكي تحصل على نصيبها من الثروة البترولية المكسيكية، وتكفي شرارة صغيرة واحدة، لكي تشعل النار في هذه الصراعات. من بين هذه الشرارات، تلك التي ستلتصع في نهاية عام ١٩٩٠، عندما تطلب يوغوسلافيا الانضمام إلى حلف «ناتو»، المنظمة الدفاعية التي ستحل محل «ناتو». وهو تحرك يشعر الكثيرون ببوارده منذ الآن.

غزو تركيا

عند وفاة تيتو عام ١٩٨٠، بدأت يوغوسلافيا في العودة ثانية إلى المعسكر الشيوعي، كشريك صغير في حلف وارسو، باعتبارها من دول عدم الانحياز. وقد طل الاتحاد السوفيتي يشجع يوغوسلافيا المترددة لكي تصبح شريكاً كاملاً. من ناحية، لأن الروس يطمعون في موانئ المياه الدافئة التابعة ليوغوسلافيا على امتداد الأدرياتيك. ولأنهم يطمعون من ناحية أخرى في الحطائر المنبعة التي لا تتحطم والخاصة بالغواصات والمنية في صخور شمال دوبروفنيك.

عندما يحل عام ١٩٨٨، ستحصل يوغوسلافيا مقتربة من دول

الكوميكون، مما يدفع الغرب الى رفع اسم يوغوسلافيا في صمت من قائمة الدول غير المنحازة.

سيحدث أمران يغيران هذا الوضع . سيحتل الاتحاد السوفييتي إيران، وسيظهر قائد جديدة للدولة اليوغوسلافية، قائد يتسم بنفس ما كان يتسم به تيتو، من قوة العقل واستقلال الارادة. فيلم شمل اليوغوسلافيين، ويقتنعهم بأنه ليس بإمكانهم أن يشقوا بالروس بعد غزوهم لإيران.. وبخطوة مفاجئة للعالم بأكمله، يعلن القائد اليوغوسلافي الجديد انسحاب بلاده من حلف وارسو، وتحالفه مع حلف شمال الأطلسي والباسيفيكي «نابتو».

سيقاжа السوفييت بذلك، شأنهم شأن الآخرين.. وبأعصاب باردة، يقررون عدم استطاعتهم الحياة بعد ذلك في ظل الاحباط الناجم عن حرمانهم من موانئ المياه الدافئة في البحر الابيض المتوسط.

في عيد الأضحى، من عام ١٩٩٠، يقوم الاتحاد السوفييتي بغزو تركيا. ينقض عليها من الشرق بست فرق للدبابات تحاصر الجيس الثالث التركي في أرزوروم، ثم يدفع السوفييت بجيشين كاملين من خلال رومانيا وبلغاريا، لتستولي على اسطنبول في طريقها إلى أنقرة التي تستولي عليها في أقل من شهر.

ومسكذا.. تصبح إحدى دول حلف النابتو تحست الاحتلال السوفييتي.. مما سيدفع حلفاء تركيا من دول حلف النابتو إلى البحث عن وسيلة للثأر والانتقام.

١٩٣ يقف العالم على حافة حرب شاملة لا يمكن

ام ١٩٩٠ . . أي بعد خمس سنوات

... ممكن جداً أن يحدث كل ذلك . . فالحرب،
سبب دائماً.

يناريو الذي قرأته الآن حول أوضاع العالم عام ١٩٩٠ ، ليس مجرد
حبكة روائية صنعها خيال كاتب درامي . هذا السيناريو جرت دراسته
بنومع على يد كبار الضباط العسكريين وواضعي الخطط في مختلف
لكليات العسكرية بالولايات المتحدة الأمريكية ، حيث يقومون بدراسة
لاستجابات الواقعية لاحتمالات العدوان في أي مكان من العالم .

وفي الولايات المتحدة توجد أغرب مؤسسة خاصة على وجه الأرض ،
تدير كل يوم حروباً لا تنتهي ، مستخدمه أحدث وأصخم العقول
الالكترونية ، حروباً تخيلية ، لا تسعى فيها إلى كسب معركة ، أو الانتصار
في حرب ، ولكن هدفها الأول والأخير ، هو منع وقوع حرب مباغتة تدمر
العالم . إنها تتصور أشرس المعارك وأكثر الأسلحة فتكاً ، بحيث تكون
غايتها الأخيرة هي بقاء الجنس البشري .

وقد أمكن في السنوات الأخيرة ، تجهيز مراكز بحوث ضخمة يتصارع
فيها الإنسان مع العقول الالكترونية ، ومن بينها المؤسسة الخاصة التي

نتحدث عنها والتي يطلق عليها اسم «راند»، والتي كانت تعتبر حتى وقت قريب من الأسرار العسكرية، التي تتخذ كافة الاحتياطات لعدم تسرب أي معلومات عنها إلى العالم الخارجي.

وهذه المؤسسة تعمل على منع نشوب حرب مفاجئة، بالصدفة، عن طريق تصور كل ما يمكن أن يحدث مهما كان غريباً أو مستبعداً. وخبراء هذه المؤسسة لا يقفون عند حد تغذية العقول الالكترونية بكل المعلومات والحقائق المتاحة، لكنهم يغلونها بسلسلة كاملة من التصورات التي تمثل المجهول، أو الصدفة.

وحتى نفهم معنى التعامل مع الصدفة أو المجهول، نشير إلى أحد البرامج التي قامت المؤسسة بدراستها، والتي تبحث مشروع خطة هجوم تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية ضد أعدائها في الأرض باستخدام أطباق طائرة يجري تصنيعها فوق كوكب المريخ.

مخازن أمريكية في المريخ

هذه عينة من المشاكل غير المتوقعة التي تهتم بدراستها مؤسسة «راند»، والتي تمثل الجانب الأكبر من العمل الذي تشغل به أجهزة المؤسسة ومن بها من خبراء. يعكف علماء الرياضيات على رسم المنحنيات التي تصور التقديرات التخمينية لانتاج هذه الأطباق الطائرة، ويحسبون التكاليف، والقوى البشرية المطلوبة، والخبرات التكنيكية الضرورية.

تم هناك الدراسات الخاصة بطرق نقل هذه الاطباق الى مخازنها فوق المريخ ، عبر القنوات النية على سطح المريخ . والدراسات الخاصة بمشاكل تحركات وإيواء وإمداد القوات العسكرية التي ستعسكر فوق المريخ . تم دراسة خطوط طيران الاطباق الطائرة عبر المجال الجاذبي المتغير للأرض ، والمجال الجاذبي للمريخ ، ثم حركة المعامل الفضائية حول المريخ والأرض .

ولعل السرفي كشف بعض جوانب نشاطات مؤسسة راند ، يعود إلى سرعة التطور العلمي والتكنولوجي ، الذي يجعل الكثير من مادة البحث والدراسة السابقة بلا جدوى .

داية عمل الطائرات دائمة التحليق

ومن أمثلة هذا ، ما تسرب من تقارير ووثائق تصور حروباً تخيلية شنتها المؤسسة على أعداء أمريكا عام ١٩٥٦ . الطريف في الأمر أن راند خسرت معظم هذه الحروب التخيلية ، والسرفي ذلك كان وجود القواعد الجوية الأمريكية قريباً جداً من القواعد الجوية السوفيتية . وكان الهدف من هذا الوصف هو الوصول إلى إنذار بأي هجوم ، في وقت مبكر بقدر الإمكان .

لهذا كان على خبراء المؤسسة أن يعيدوا دراساتهم وتقديراتهم على ضوء تلك الهزائم ، وأصبح مهمهم الأول هو أن تبقى قاذفات القنابل الأمريكية حصينة بقدر الإمكان ، مع الحرص على الاحتفاظ بها قادرة على الحركة الفعالة في نفس الوقت . .

ومن بين الحلول العملية التي طرحت، هو أن تبقى قاذفات القنابل محلقة في الفضاء، على أن تقوم طائرات خاصة بتزويدها بالوقود وهي محلقة. الأمر الذي تحقق بعد ذلك بالنسبة للطائرات التي تحمل القنابل الذرية الأمريكية والسوفييتية.

حرب الستين ساعة

ويجب ألا نتصور أن ما يبدو كالشطحات من جهد رجال هذه المؤسسة، يخلو من الجهد العلمي. فمن أطرف ما جاء في الوثائق التي كشفت عن جانب من نشاط المؤسسة، ما بذله رجالها من جهد مع العقل الإلكتروني الضخم لدراسة ما يجري إذا اندلعت الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي لمدة ستين ساعة.

لقد عمل العقل الإلكتروني لمدة ست ساعات كاملة، بشكل متصل، ليهضم المعلومات التي تم تزويدها بها، ويحللها، ويصنفها، ويربط بين عناصرها المختلفة، ليعطي آخر الأمر تقديرات لتلك الحرب. الجوية المستعرة التي دارت بين الدولتين.

لقد تمت تعذية العقل الإلكتروني بكل ما يتصل بالموضوع، من قريب ومن بعيد. وكذلك بجميع احتمالات الاوضاع التي تكون عليها قوة الطرفين عند بداية المعركة، وبحدود قوة السلاح الجوي للجانبين، وبكل الخدمات العسكرية المساعدة. وبيانات تفصيلية عن إنشاءات وأجهزة الدفاع الجوي لكل من الخصمين، كالرادار، وصواريخ أرض جو، وأساليب القتال الجوي من الأرض.

وبالإضافة الى كل هذا، تم تزويد العقل الالكتروني بسلسلة معقدة من خطط الطوارئ التي قد لجأ إليها كل جانب أثناء المعركة. لقد اقتضى بحث هذه الحرب الجوية إعداد أكثر من ١٥٠ ألف بطاقة مخزنة من تلك البطاقات التي يزود بها العقل الالكتروني.

قواعد في أنحاء العالم

وفي عام ١٩٥٦، نجحت مؤسسة راند في كسب حرب تخيلية مع الاتحاد السوفييتي، بعد العديد من الهزائم، التي اقتضت تغيير الاستراتيجيات والتكتيكات.

تحقق ذلك النصر الخيالي بإنشاء عدد من القواعد الجوية الأمريكية في مواقع محددة من العالم، خارج أرض الولايات المتحدة الأمريكية. وقد جرى حساب قوة القواعد ومواقعها، بحيث لا يتمكن العدو، في أي وقت من الأوقات، أن يحتل سوى بعض هذه القواعد فقط.

كما اقتضت هذه المعركة نقل قاذفات القنابل الأمريكية بسرعة وبشكل دوري، من قاعدة إلى أخرى، فيقتصر نجاح السوفييت على تعطيل جزء بسيط من قاذفات القنابل التابعة للقواعد التي يتمكن العدو من الاستيلاء عليها.

هل يخذع الروس

ومن بين الأفكار التي درسها رجال مؤسسة راند، فكرة التقرير بالسوفييت وإيقاعهم في فخ منصوب، عن طريق الإيهام إليهم بأن

القوات الجوية الاستراتيجية الأمريكية أقل تفوقاً من نظيرتها لديهم.

وهكذا، عندما تندلع نار الحرب، ينخدع الروس بهذه الحقائق المزيفة، فيركزون كل جهد قواتهم الجوية لضرب القواعد الأمريكية، داخل الأراضي الأمريكية، ولا يتيح لهم هذا أن يمتد نشاطهم إلى قذف المدن الحيوية الأمريكية.

صاعتها سيتمكن سلاح الجو الأمريكي من تحطيم القوات الجوية السوفيتية المنشغلة بضرب هياكل الطائرات الوهمية.

وحتى نأخذ فكرة أدق عن دراسة احتمالات الصدف، نستعرض ما اكتشفه رجال المؤسسة من قصور في هذه الخطة. لقد قالوا إن الروس ليسوا أكثر من بشر، يمكن أن يرتكبوا الأخطاء، شأنهم شأن غيرهم. من يدرينا أنهم عندما يتصدون لقذف القواعد الجوية الأمريكية، أن يخطئوا مواقعها. وبدلاً من أن يصيبوا الهياكل المزيفة الرابضة على الأرض، تنطلق قنابلهم فوق المدن الأمريكية الكبرى، فتتهار معاقل النظام الأمريكي، ولا يبقى أمام السوفييت سوى أن يواصلوا حربهم حتى يصلوا إلى النصر النهائي، دون خوف من رد فعل أمريكي، بعد أن شلت مؤسسات الدولة الأمريكية.

استيلاء روسيا على استراليا

كل المعاهد والكتليات العسكرية في العالم الغربي، مثل سان هيرست، وويست بوينت، وسانت سير، تقوم بلعبة الحرب، التي تتضمن

غزواً كبيراً من جانب حلف وارسو، إما عبر أوروبا، أو اسكندنافيا. كذلك تقوم كل كلية عسكرية في آسيا وفي الولايات المتحدة الامريكية بلعبة حرب خاصة بغزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية.

ولعبة غزو روسيا لتركيا التي اشترنا إليها من قبل، هي واحدة من ألعاب الحرب التي جرت دراستها في تلك الكليات.

ومن الواضح أن غزو السوفييت لتركيا سيشكل تهديداً أكبر للسلام العالمي من أي شيء آخر حدث منذ أزمة الصواريخ الكوبية في أكتوبر ١٩٦٢. فتركيا ستكون عضواً في حزب الناتو، الذي يضم دولاً تسعى للتآزر.

ولكن دعنا الآن نتأمل الاحتمالات التالية للصراع العالمي، والتي يمكن أن تتحقق بعد ١٠ أو ١٥ سنة:

● غزو السوفييت ليوغوسلافيا أو اليونان، أو لهما معاً، لنفس الأسباب التي تقود إلى غزو تركيا، والتي تنحصر في الحصول على نافذة على البحر الأبيض المتوسط.

● أو غزو السوفييت لأستراليا، بالاعتماد على قاعدتهم البحرية الجديدة «سورابايا»، والتي استولوا عليها من أندونيسيا، للمقصر منها على أستراليا.

الافارقة يجتاحون جنوب أفريقيا

لا تسخر عندما تقرأ هذا . .

فإن تحرك السوفييت إلى استراليا ، ونسفهم طرق مواصلاتها ومعامل تكرير البترول فيها سيحرم الدول الغربية من إمدادات الحديد والنحاس واليورانيوم الاسترالية ، خلال السنوات العشر الاخيرة من هذا القرن .

وإذا أصبح من المستحيل على استراليا أن تنقل الحديد واليورانيوم من مناجمها إلى الموانئ ، فلن يكون من المعقول أن تواصل استخراج هذه المواد من جوف الارض .

والسوفييت لن يشكلوا التهديد الوحيد للسلام العالمي خلال السنوات العشر القادمة . فهناك احتمال حقيقي لتحرك شامل من أفريقيا السوداء ضد جنوب أفريقيا ، التي ستجد نفسها مضطرة إلى الاعتماد على الأسلحة النووية في الدفاع عن نفسها .

ماذا سيكون رد فعل الولايات المتحدة الامريكية ؟ .

هل ستقف إلى جانب دول أفريقيا السوداء ضد الأسلحة النووية للدولة العنصرية ؟ .

أم هل ستقف إلى جانب جنوب أفريقيا لتحمي مستودعات المعادن الحيوية التي ستكون في أشد الحاجة إليها .

كاسترو: المكسيك أم جامايكا؟

وفيدل كاسترو قد لا يكون راغباً في شيء، وهو في أواخر أيامه، أكثر من الجزيرة المجاورة له جامايكا. لقد أظهرت جامايكا تحولاً إلى ما يقربها من النظام الشيوعي الكوبي قبل عام ١٩٨٠، ثم جاءت الانتخابات بعد ذلك لتظهر تحولاً إلى الاتجاه المضاد.

وإذا قرر كاسترو خلق المتاعب في المكسيك... أي طريقة ستكون أفضل من تخريب حقول البترول في خليج كامبيتشي، أضخم مصدر لإيرادات المكسيك، وشريان البترول الحيوي الذي يصب في الولايات المتحدة الأمريكية؟

كيف ستصرف الولايات المتحدة ازاء أي من الحركتين الكوبيتين؟
بعد ثمانية أعوام من تولي الحكومة الأمريكية الجمهورية المحافظة، حذير بأن يحدث تدهور في العلاقات بين أمريكا وكوبا. الأمر الذي يعني أن الولايات المتحدة لن تقف ساكنة ازاء المتاعب التي يثيرها كاسترو في نصف الكرة الأرضية الجنوبي.

هل تتحمل الولايات المتحدة الأمريكية عزو كوبا لجامايكا؟ لا نطن. لقد أرسل جونسون ١٤ ألفاً من القوات الأمريكية إلى جمهورية الدومينيكان في أبريل ١٩٦٥، لإخماد ثورة أهلية، تحت شعار حماية أرواح وممتلكات الأمريكيين. فكيف ستصرف الولايات المتحدة الأمريكية ازاء هجمات الفدائيين التي تدعمها كوبا على حقول البترول في خليج كامبيتشي؟. علماً بأنه في عام ١٩٩٠ ستمد حقول بترول خليج

كامبيتشي الولايات المتحدة بما يزيد على ٧٠ في المائة مما تستورده من بترول.

من هذا يمكننا أن نخمن ما قد تفعله الولايات المتحدة الأمريكية كرد فعل لمحاولات الفدائيين قطع هذا الشريان الحيوي بالنسبة لها. .

الفصل السادس

المارد النووي
يخرج من القمم

في اطار احتمالات الحرب بين دول العالم خلال السنوات العشر القادمة ، والتي اشرنا إليها فيما سبق ، دعنا نبدأ بالتحرك العسكري الذي قد يتصور الكثيرون انه أقل التحركات احتمالاً ، وهو الغزو السوفيتي لآستراليا .

.. قد يتساءل البعض باندعاش : ولماذا آستراليا؟ . . حتى اليابانيين لم يضعوا أقدامهم على الأرض الآسترالية في أوج نجاحهم بعد بداية الحرب العالمية الثانية . فلماذا يغزو السوفييت آستراليا؟ . . إنها دولة في ضخامة الولايات المتحدة الأمريكية مع ان تعدادها لا يتجاوز تعداد سكان ولاية كاليفورنيا .

ما الذي تستهدفه روسيا من الغزو؟ . . وما الذي يدفعهم أصلاً الى التفكير في غزو آستراليا؟ . .

المطلوب أن تفكر بعقل السنوات العشر القادمة . .

حيث لم تعد امدادات جامايكا من البوكسيت متاحة للولايات المتحدة الأمريكية ، لعدم استقرار الأوضاع في جامايكا ، والتدخلات الكوبية فيها . كما أن صادرات افريقيا من اليورانيوم لن تمضي كما كانت من قبل ، لأن

السياسات الافريقية ستصبح ضد تصدير اليورانيوم.

عندما نصل إلى عام ١٩٩٠ ، ستحصل الولايات المتحدة على معظم ما تستورده من بوكسيت ويورانيوم من استراليا . . بالإضافة إلى أن الدماء ستدب ثانية في جسد الكومنولث اليريطاني ، بعد عودة الهند وباكستان إليه . وستقوم استراليا بامداد الدولتين بمعظم ما تحتاجان إليه من طعام . ولهذا ، فإن الاتحاد السوفيتي لن يجد ما هو أكثر تأثيراً إذا ما أراد توجيه صربة لمصالح العالم الغربي أفصل من غزوه لاستراليا ، لكي يقطع امدادات اليورانيوم والبوكسيت عن الولايات المتحدة الامريكية ، وفي الوقت نفسه يوقف امدادات القمح واللحوم الاسترالية إلى الهند وباكستان .

هجوم الكريسماس

والآن لتركيب سيمضي السيناريو الذي رسمه سيترون وأوتول في كتابهما ولقاء مع المستقبل .

في ذلك الوقت لن تكون استراليا عضواً في حلف شمال الاطلنطي والباسفيكي (نابتو) . وهي تستقر هناك عند أسفل جنوب الباسفيكي ، ضخمة ، يصعب الدفاع عنها ، وحيدة إلا من نيوزيلاندا الصغيرة . شواطئها الفسيحة التي لا تنتهي ، تجعلها معرضة بسهولة لهبوط القوات الغازية . والحلفاء الذين تعتمد عليهم يبعدون عنها الاف الكيلو مترات . وفي نفس الوقت ، تكون قدرة استراليا العسكرية مثيرة للضحك . فجيشتها العامل يتكون من ٣٢ ألف رجل ، و ٩٠ دبابة ، وسلاحها الجوي يتكون من

١٥٠ طائرة تكتيكية. ولا يضم سلاحها البحري سوى حاملة طائرات
حيلة.

في يوم الكريسماس، يهجم السوفييت على أستراليا بست فرق قادمة
من فيتنام وإيران وقاعدة البحرية الاندونيسية. وسيكونون قد لغموا مينائي
ملبورن وسيدني لافقاد البحرية الأسترالية المحدودة التأثير أي فعالية.
وهم يسقطون فرقتين بالمظلات خارج ملبورن وسيدني، لمنع القوات
الأسترالية من الحركة.

أما الفرق الست الأخرى المحمولة بحراً فستدخل البلاد من المناطق
الشمالية، ثم تسرع بالاستيلاء على مناجم اليورانيوم وحقول الفحم
والحديد. وفي نفس الوقت، ستقوم الطائرات السوفيتية برش مادة خاصة
فوق حقول القمح الأسترالية، لتخرب المحصول..

بعد ذلك سيعمد السوفييت إلى قصف نقاط الاتصال بالسكك
الحديدية، ومناطق تكرير البترول، مما يؤدي إلى شلل شامل في البلاد.
فأستراليا نتجية لاتساعها الكبير، لا يمكن أن تستغني عن السكك الحديدية
في نقل بضائعها.

ردود الفعل البطيء

في ذلك الهجوم، سيسحب السوفييت قواتهم من أستراليا في ظرف
ثلاثة أسابيع، بعد أن يكون قد اكتمل التخريب، ونجح هدف حرمان
الولايات المتحدة الأمريكية من امدادات اليورانيوم، وبعد أن يكونوا قد

وجهوا لطمه إلى الكومنولث البريطاني ، عندما يحرسون دولتين رئيسيتين من دوله ، امدادات الطعام التي تحتاجان إليها .

ويبدو ان الولايات المتحدة الأمريكية سيطول بها الوقت ، قبل أن ترد على غزو الاتحاد السوفيتي لآستراليا . ففي الوقت الذي يسبق اتخاذ القرار ، سيناقش البيت الأبيض استخدام قنبلة النيوترون ضد قوات الغزو السوفيتية . وعندما يتم الاتفاق على توجيه الانذار بذلك إلى الاتحاد السوفيتي تكون قواته قد انسحبت .

ونفس المفاجأة ستقع على كندا وبريطانيا ونيوزيلندا ، العمود الفقري العسكري للكومنولث . . سيكون تصرف هذه الدول بنفس الطريقة البطيئة .

وعندما نصل إلى عام ١٩٩٠ ، سيكون التهديد بقيام حرب نووية محدودة ، قد قوى بشكل مطرد .

لقد خرج المارد الذري من قمقمه ، ومد ظله على أنحاء العالم . فتجارب الأسلحة الذرية قد تمت في أكثر من ١٢ دولة . وهناك أكثر من خمس دول أخرى أوشكت على التوصل إلى أسلحتها الذرية . سيسمع العالم أصداء تحريب هذه الأسلحة في دول مثل مصر وليبيا والعراق وإسرائيل ، ومن الجانب الآخر في دول مثل الهند والباكستان . . ستصبح تايوان قنبلة الذرية ، ونفس الامر بالنسبة لكوريا الموحدة .

أما الحكومة العنصرية في جنوب إفريقيا ، فلديها ترسانتها الصغيرة من الأسلحة النووية التكنيكية ، بما في ذلك قنبلة النيوترون المخيفة ،

وسيركز الهدف المطروح عالمياً على منع هذه الدول من استخدام السلاح النووي ضد جاراتها . . وليس منعها من انتاجه .

قنبلة الأرجنتين

أول تفجير نووي سيشهده العالم منذ انفجار ناجازاكي، ستقوم به الأرجنتين .

ان الأرجنتين غاضبة ، لأن جارتها الضخمة البرازيل أنشأت ثلاث سدود عملاقة على امتداد المنطقة المتنازع عليها، ريودي لابلاتا، وهي المنطقة التي كانت البرازيل قد حصلت عليها من الأرجنتين في اتفاقية سابقة .

ستلقي الأرجنتين قنبلة قوة ٢٠ كيلوطن فوق منطقة زراعية بالبرازيل . لقد تم اختيار الهدف بعناية شديدة ، في منطقة قليلة الكثافة السكانية، بحيث تنحصر الخسائر البشرية في أضيق نطاق . . ويحترق كل شيء ، ولا يبقى من شيء سوى الأرض المعطوبة الجرداء .

لكن هذا الانفجار سيكشف عن أمرين : أولهما تعبير الأرجنتين عن سخطها الكبير على البرازيل ، وثانيهما امتلاك الأرجنتين للقنبلة الذرية قبل البرازيل . فإذا لم تتوقف البرازيل عن عملية اقامة السدود، يمكن أن تسقط قنبلة ثانية فوق ريودي جانيرو .

ويواصل الكتاب هذا السيناريو المستقبلي المخيف، فيقول إن الأرجنتين ستلحق ضربتها النووية بضربات عسكرية تقليدية لمناطق

اينايو وسيتي كويداس وريودي لابلاتا، لكن البرازيل مسترع بتحريك قواتها إلى الحدود لتحمي مشاريع الطاقة الهيدروليكية.

وسيكون لهذه الحرب وجهها الكوميدي، فرغم أن جيش البرازيل وسلاحها الجوي، في ذلك الوقت، سيكونان أكبر من ضعف ما لدى الأرجنتين، إلا أن البرازيل هي التي ستكون في موقف الدفاع. ثم يتبدل الوضع، كما لو كانت البرازيل قد تبنت فجأة تناقض الوضع، فتتحرك قواتها عبر ريو دي لابلاتا إلى الأرجنتين.

التدخل الأمريكي

وبينما تحبس دول أمريكا اللاتينية أنفاسها ترقباً، تقرر الولايات المتحدة الأمريكية أن تتحرك بنفسها. إلا أنها تتدخل، مستفيدة من تجربة الغزو السوفييتي لأستراليا، ستعلن أنها تتدخل بتفويض من منظمة الدول الأمريكية (أواس)، لمنع مواجهة نووية بين الدولتين العظميين.

وهكذا تندفع قوات الانتشار السريع. مستخدمة سلاحاً أمريكياً رئيسياً جديداً وهو المركبات الفضائية الأخف من الهواء، والتي تحمل ألف مقاتل في المرة الواحدة، وتهبط على امتداد وادي النهر، دافعة بالقوات الأرجنتينية عبر النهر، باعتبارها القوات البادئة بالعدوان. وتقوم القوات الأمريكية بضخ غازات غير سامة في الخط القاصص بين الجيشين المتحاربين، لتجميد حركة الجنود في الجانبين. وفي نفس الوقت يتم انزال فرقة محمولة جواً، لكي تحاصر الموقع الذي يشك في أن الأرجنتين تحتفظ فيه بسلاحها النووي.

وبهذا يفاجأ العالم بنجاح الولايات المتحدة الأمريكية في إيقاف
المحاولة الأرجنتينية، قبل أن تبدأ أية مناقشات في الأمم المتحدة.
ويبقى سؤال هام: لماذا بدأت الأرجنتين هذه الحرب؟ وما هي الدوافع
الحقيقية؟

لقد شعرت الأرجنتين بمرارة متزايدة نحو جارتها البرازيل، خاصة بعد
أن استبعدت البرازيل جارتها الأرجنتين من المشروعات المشتركة،
وخاصة المشروع الهيدرو كهربائي على امتداد ريو دي لابلاتا. كما أن
الدولتين الغنيتين بالبتروك فنزويلا والمكسيك، لم تقدما يد العون إلى
الأرجنتين، ووقفنا في جبهة واحدة مع البرازيل.
انتهت الحرب الأرجنتينية البرازيلية.

وبانتهاء حالة التهديد بالحرب، تبدأ الدول الكبرى في أمريكا اللاتينية
حواراً فيما بينها، لتصحيح المواقف التي كادت تتسبب في كارثة عامة.
أفريقيا السوداء تتحرك

وعبر جنوب الأطلنطي، تبدأ ارمصاصات مواجهة نووية أخرى..

لقد بدأت دول أفريقيا السوداء المتحررة في حشد قواتها على امتداد ٣
الاف ميل من الحدود المشتركة بين جنوب أفريقيا من ناحية، وبين زامبيا
وزيمبابوي وبنسوانا.

بناء على التقارير التي تجمعت لدى أجهزة المخابرات الغربية، لا
يمكن اعتبار هذه الحشود مجرد مناوئات حرب أو تحركات فدائية. إنه

هجوم شامل لن يتوقف حتى تسقط برينوريا في يد الافارقة السود.

ماذا ستكون استجابة حكومة جنوب افريقيا؟

ستهدد دول افريقيا السوداء بأنها ستدافع عن نفسها بالأسلحة النووية. مشيرة بذلك إلى أن قوات دفاعها تمتلك أسلحة نيوترونية. ويرى بعض المراقبين الاوروبيين أن حكومة جنوب افريقيا قد أوشكت أن تصل إلى صنع قنبلة النيوترون. . إذا لم تكن قد صنعتها فعلاً.

ستحاول وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن تحذر السود من العواقب المخيفة التي يمكن أن تجلبها القنبلة النيوترونية. إلا ان الافارقة لن يستجيبوا للتحذير، وسيكون رد فعلهم هو تحريك قواتهم عبر حدود أربع دول إلى قلب جنوب افريقيا.

سيأتي تحرك افريقيا السوداء في وقت تواجه فيه حكومة جنوب افريقيا موقفاً صعباً. فهي لن تجد دولة افريقية قادرة على الحركة كوسيطيين الأطراف، لقد كانت نيجيريا قادرة يوماً ما على التوفيق بين الأطراف المتصارعة، لكنها في ذلك الوقت لن تستطيع أن تلعب هذا الدور. فهي ستكون قد فقدت تحكمها السياسي على شعب يتزايد تعدادهم، كما انها لن تكون غنية بالبتروول كما هي اليوم. . ومن ثم لن تصبح نيجيريا قوة مؤثرة في السياسات الافريقية.

ستحاول بريطانيا، التي لن تستطيع التدخل بمفردها، أن تقنع الولايات المتحدة الأمريكية بالانضمام اليها في عمل مشترك. . لا يقاسف المذبحة. . لكن أمريكا ستقف حائرة ازاء هذا الموقف، لا تستطيع أن

تقف مع حكومة جنوب أفريقيا عسكرياً، ونصف تعداد الجيش الأمريكي من الزوج.

خازات تشل حركة الجنود

ماذا بقي؟.. الصين، قد تتدخل.. السوفييت، سيتدخلون قطعاً.. ومن المحتمل أن تواجه حكومة جنوب أفريقيا هجوماً نووياً من ليبيا والعراق.. إذا حدث هذا، فمن المتوقع أن تقف إسرائيل في صف حكومة جنوب أفريقيا، ضد المهاجمين.

إذا وصل الأمر إلى هذا الحد لن تجد الولايات المتحدة الأمريكية مناصاً من التورط.. على الفور.. ستشكل عشر فرق من الأمريكان البيض، وتستخدم امكانيات الانتشار السريع في نقل قواتها إلى جنوب أفريقيا، قبل أن تبدأ المذبحة.

ستقوم هذه القوات بإسقاط مواد مشعة عند المنطقة الفاصلة بين القوات المتحاربة بعرض ٥٠ كيلومتراً، وستستخدم نوعاً من الغاز غير السام، والذي ستكون قد جربته قبل هذا بستين في الأرجنتين، حتى تشل حركة القوات السوداء المهاجمة.. وفي نفس الوقت تسعى أمريكا بالاشتراك مع بريطانيا إلى إلزام حكومة جنوب أفريقيا بالتخلي عن سياستها التي تقوم على التفرقة العنصرية.. الأمر الذي ستتجيب له حكومة جنوب أفريقيا بعد مفاوضات طويلة.

.. والسعودية

بعد سنتين من نهاية القلاقل والمتاعب في جنوب افريقيا، ستظهر اضطرابات في بقعة أخرى على الكرة الأرضية.. في السعودية.. التي ستبقى أكبر دولة مصدرة للبتروول في العالم.. والتي يعيش فيها أكثر من مليون ونصف عامل يمني وفلسطيني.

وفي دولة يبلغ تعدادها أربعة ملايين تعتبر هذه نسبة عالية من العمالة الأجنبية.. والهوة الاقتصادية بين العمال المهاجرين والمواطنين السعوديين واسعة جداً ومازالت هذه الهوة تتسع عاماً بعد عام منذ سنة ١٩٨٠. وعائدات البتروول قد تقلصت، نتيجة لما تعلمه العالم من العيش ببتروول أقل، ومع قرب التوصل إلى الحصول على الطاقة من الاندماج النووي النظيف. وفي السعودية توجد بطالة، ونوع متزايد من الاحتكاك بين العمالة المهاجرة، وأهل البلاد من السعوديين.

وإذا ما حدث أي عدوان على السعودية، فإنها ستستجد بالولايات المتحدة الأمريكية.. التي ستتحرك بتشجيع من اليابان وأوروبا الغربية والدول التي يهدد هذا العدوان بانقطاع شريان البتروول السعودي عنها.

سيندفع ٢٠ ألف باكستاني يقومون بحماية الرياض، مع ٥٠ ألفاً من الجنود السعوديين، سيندفعون جميعاً إلى الصحراء لمواجهة العدوان.. وستكون استجابة الولايات المتحدة الأمريكية فورية، بالانتقال من قاعدة انتشار سريع قريبة، إلى صحراء التقسب. وسيكون مجموع قوات الانتشار السريع الأمريكية أربع فرق، يتم نقلها جواً وبحراً.

الهدف الاول لهذه القوات سيكون حقول البترول ، بهدف حمايتها من أي تخريب . ثم تأتي الخطوة التالية ، بتوزيع القوات والدبابات على امتداد خطوط ضخ البترول لضمان عدم توقف الامدادات . وفي نفس الوقت تقوم المقاتلات الجوية بالتحليق فوق الصحراء ، لتحقيق غطاء جويًا للجيش السعودي ، الذي يحارب من أجل إيقاف حركة التمرد ، بالإضافة إلى فرقتين إضافيتين ستحاربان إلى جانب القوات السعودية التي تحارب في الصحراء . ستواصل المعركة على امتداد أسبوع واحد ، وستغلب الدبابات والطائرات .

أما استجابة الاتحاد السوفييتي فستكون التهديد بالتحرك الى مضيق هرمز ، لكنه لن ينفذ تهديده بعد أن ترسل اليابان وأوروبا الغربية قواتهما لحفظ السلام في السعودية .

وإذا كان خطر الحرب قد أمكن تجنبه . إلا أن القوات الأمريكية واليابانية والأوربية ستكون قد أقامت في السعودية . . ولعدة سنوات .

جامايكا تستجند بكوبا

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد شعرت أنها ملتزمة بالتدخل في الحرب الأهلية الجارية في السعودية ، فلك أن تتصور مدى التزامها بالتدخل في الحرب التي ستشب على بعد أقل من ألف كيلومتر من شواطئها ، وعندما تغزو كوبا جزيرة جامايكا ، فيما قبل عام ١٩٩٠ . .

كيف يمكن أن تصل الأمور إلى هذا؟

يحدث هذا عندما تتسلم مقاليد جامايكا حكومة قمعية، فيسود المدنيون بها شعور بالقلق، يتحول يوماً بعد يوم إلى تمرد، فتضطر حكومة جامايكا إلى الاستنجاد بالقوات الكوبية لاضماد التمرد. تستجيب كوبا للدعوة.. فيهيبط جنودها على شواطئ جامايكا، ويخمدون ذلك التمرد بأسلوب عنيف.

أول ما ستفعله كوبا هو تأمين مناجسم البوكسيت ومستودعاته في جامايكا، وقطع امداداته عن الولايات المتحدة الأمريكية. تشعر أمريكا بما في هذه الحركة من تهديد صريح لمصالحها، يحرمها من ثلث احتياجاتها في صناعة الألومنيوم.

لكن ماذا يمكن للولايات المتحدة أن تفعل في هذا الصدد؟ لقد استعانت حكومة جامايكا الشرعية بجارتها كوبا في مواجهة المتمردين، فكيف تبرر الولايات المتحدة هجومها العسكري؟

تبدأ الولايات المتحدة بحصار بحري وجوي شامل حول كوبا وجامايكا، فلا تسمح إلا بمرور الامدادات الغذائية الضرورية. وفي نفس الوقت تحول الدوريات البحرية والغواصات الأمريكية دون خروج سفن شحن البوكسيت من جامايكا، والسكر من كوبا، مستندة في هذا الاجراء إلى مبدأ مونرو.

كذلك، تعترف الولايات المتحدة بحكومة في المنفى، تضغط على منظمة الدول الأمريكية حتى تقوم بنفس الخطوة. وتنجح الولايات المتحدة في آخر الأمر في الحصول على اداة من فنزويلا والمكسيك

للفوز الكوبي لجامايكا، بعد أن تحذر فتزويلا والمكسيك من أن نجاح كوبا في دخول جامايكا قد يشجعها على أن تتحول إليهما.

ينجح الضغط ويخرج الكوبيون من جامايكا، في الوقت الذي يتم فيه انقلاب سلمي في عاصمة جامايكا، كنسجتون، يطيح بالحكومة الموالية لكوبا.

بترول المكسيك

نفس هذا السيناريو يمكن أن يحدث في وقت ما خلال تسعينات هذا القرن في حقول البترول المكسيكية. ففي ذلك الوقت، ستعتمد الولايات المتحدة الأمريكية في ٧٠ في المائة من بترولها المستورد على ما يصلها من أغنى حقول الانتاج البترولي في نصف الكرة الأرضية الجنوبي، وبالتحديد من حقول خليج كامبيتشي المكسيكية:

هذا الوضع سيشتجع قيام منظمة ارهاية مكسيكية، تعتمد في تدريبها وتمويلها وتسليحها على فيديل كاسترو، الذي سيكون قد بلغ الخامسة والستين من عمره في ذلك الوقت. خاصة وأن الاحداث السياسية في المكسيك حينئذ ستشتجع كاسترو على اثارة المتاعب فيها. كما أن الحزب الحاكم في المكسيك سيزداد اعتماده على الجيش للاحتفاظ بالسلطة. وبينما سيوفر تصدير البترول قدراً كبيراً من العملات الصعبة، فإن ذلك لن ينعكس على حياة الفقراء في الحضر أو الريف. . وهكذا يتزايد التأييد الشعبي للحركات الثورية، على حساب ما تحظى به الحكومة من تأييد، ويصبح الوضع مواتياً لخلق الاضطرابات.

سنأتي هذه الاضطرابات من خارج الكاريبي، عندما يتتكر الارهابيون المكسيكيون ومدربوهم من الكوبيين على هيئة صيادي سمك، وهم يغادرون كوبا، ويتسللون ذات صباح مبكراً الى خليج كامبيتشي. وفي هدوء وتخطيط محكمين. يتم اقتياد عمال حقول البترول إلى القوارب الكوبية. ثم يقوم الارهابيون بوضع القنابل الموقوتة عند أصول ابار البترول، وفي ظرف عدة ساعات تفقد أمريكا البترول الذي كان يصلها من أغنى ابار البترول في المنطقة.

كيف ستنجيب أمريكا لهذا التخريب الكوبي؟. في هذه الحالة لم يطلب مسئول واحد في الحكومة المكسيكية من كوبا أن تقوم بهذا النشاط الارهابي، ومن ثم لا يكون لدى الولايات المتحدة ما يجعلها تتردد في التحرك لضرب الارهابيين. خاصة وأن الحكومة المكسيكية لن تحظى في ذلك الوقت بالمساندة الشعبية الضرورية لاتخاذ الاجراءات المصادرة.

هكذا تقرر الولايات المتحدة الأمريكية أن تتدخل بسرعة، ضاربة قواعد الارهابيين في كوبا، وفارضة في نفس الوقت حصاراً على كوبا. بينما يتحرك القذافيون المكسيكيون إلى الأراضي الكويتية في عملية خاطفة يحرقون فيها حقول قصب السكر.

ولكن، هل يمكن لألسنة النار المتدلعة في حقول قصب السكر الكويتية أن تتحول إلى لهيب يطال أمريكا الجنوبية كلها؟

المانيا دولة غير منحازة

ما استعرضناه حتى الآن عبارة عن سيناريوهات للصراعات المحتملة ، التي يمكن أن تواجهنا خلال السنوات الباقية في هذا القرن . وهذا لا يعني حتمية حدوثها ، أو أنه من غير المحتمل نشوء غيرها من الصراعات في العالم . لكن أكبر المواجهات تفجراً ، ستظل في أوروبا . . حيث يواجه الاتحاد السوفيتي دول أوروبا الغربية . ولعل توحد الدولتين الالمانيتين أن يخدم نيران هذه المواجهة .

بهذا التوحد الالمانى لن يكون للسوفييت طريق مباشر عبر بولندا وألمانيا الشرقية الى الغرب . كذلك سيتبدد قلق السوفييت بعد أن زال خطر إقامة الصواريخ النووية في ألمانيا ، واعتبارها منطقة منزوعة السلاح النووي ولن يوافق الاتحاد السوفيتي على التوحيد إلا بناء على هذا الشرط . .

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال : هل ستبدو الدولة الالمانية الجديدة صورة أخرى من السويد وفنلندا ؟ .

السويد دولة محايدة لكنها أكثر قبولاً لدى الغرب ، وفنلندا دولة محايدة ، لكنها أكثر قبولاً لدى السوفييت . . أما ألمانيا الموحدة فستصبح عضواً في دول عدم الانحياز ، منضمة إلى دول العالم الثالث . . وسيكون انضمام ألمانيا بمثابة دفعة قوية لدول عدم الانحياز ، مما سيجعل لهذه الدول دوراً أكبر في حفظ توازنات السلام العالمي .

قنبلة النيوترون

ماذا يبقى بعد ذلك بالنسبة لمستقبل السلام العالمي؟

الاحتمالات طيبة أحياناً وسيئة أحياناً أخرى. سيكون الاتجاه العام نحو المزيد من جهود نزع السلاح النووي. إلا أن الأسلحة الجديدة التي ستطلع علينا خلال السنوات العشرين القادمة، ستجعل محبي السلام يترحمون على أيام الصواريخ النووية.

قنبلة النيوترون المفنية ذات الأثر الإشعاعي الأقوى ستكون عاملاً مشتركاً في ترسانات الأسلحة. وستنجح كل من الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي في اختبارات وتجارب أسلحة الليزر، وأسلحة الشعاع النابض، لكي تستخدم إما في الفضاء، أو كسلاح مضاد للصواريخ، أو في الدفاع ضد الطائرات.

ستقوم القوتان العظميان باختبار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية غير السامة، والتي يمكن أن تجمع حركة آلاف الجنود في وقت واحد، أو تصيبهم بما يشبه الشلل الكامل. . . وسيستمر الاتحاد السوفيتي في تطوير سلاحه الرادع، والذي يتكون من رؤوس نووية ضخمة، يمكن أن تستخدم ضد عدد محدود من أهم وأكبر المدن، بينما تواصل الولايات المتحدة الأمريكية خططها في تطوير استخدام الرؤوس النووية الأصغر ضد المدن السوفيتية الجديدة التي تسعى للوصول إليها.

هذه هي فكرة عامة عن السيناريوهات التي يضعها علماء المستقبل في الغرب لأوضاع العالم عندما نصل إلى مطلع القرن القادم.. فماذا يقول علماء المستقبل في الاتحاد السوفييتي؟

الفصل السابع

المستقبل . . . في عيون الاشتراكيين

رأينا فيما سبق نماذج من السيناريوهات التي وضعها علماء التنؤ بالمستقبل في الغرب، وبصفة خاصة في الولايات المتحدة الامريكية، بالنسبة لمدى استقرار الاوضاع في دول العالم، وكذلك احتمالات الحروب الصغيرة والكبيرة بين هذه الدول.

وكما قلنا من قبل إذا أردنا أن نرسم صورة أكثر دقة لمستقبل العالم عند مطلع القرن القادم، لا يجب أن نقتصر في هذا على رؤية علماء الغرب أو علماء الشرق. فرغم كل الموضوعية، ورغم كل أسس القياس المحددة، ورغم العقول الالكترونية، فإن الاستخلاصات التي يخرج بها أحد علماء المستقبل، في مثل هذا المجال، لا بد أن تتأثر - شعورياً أو لا شعورياً - بالأيديولوجية التي يعتنقها، والسائدة في مجتمعه، وبمنظوره الخاص للمجتمع.

عن هذا يتحدث دكتور ايفان فرولوف عضو اكاديمية العلوم السوفيتية، واستاذ الفلسفة، وصاحب المؤلفات الفلسفية والمستقبلية العديدة، والذي ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات الحية. في كتابه الاخير «المشاكل العالمية ومستقبل الجنس البشري»، يبدأ فرولوف بالحديث عن صورة العالم وهو على مشارف القرن الحادي والعشرين فيقول:

«لا يمكن للواحد أن يتصور انساناً لا يتأمل المستقبل، ويربط آماله بذلك المستقبل. واليوم، بعد امد طويل من تأزم المشاكل البشرية في جميع انحاء العالم، نشأ اهتمام شامل بالمستقبل في جميع القارات. ما هو شكل العالم عند مطلع القرن الحادي والعشرين؟ هذا السؤال يواجه كلا من الانجليز والروس والأمريكيين والصينيين، الألمان والفرنسيين... ونفس السؤال يتردد في الهند والمكسيك، في اليابان والبرتغال، وفي كل مكان يعيش فيه الانسان على سطح كوكبنا. ليس هذا لان الحدود بين قرن وآخر تشكل فاصلاً مادياً، أو حداً مؤثراً في التاريخ البشري، بل لأنها تكون اشبه بالمنبه السيكلوجي، الذي يضاعف من رغبة الانسان في التطلع إلى ما يحمله إليه القرن القادم، مما يشجع على القيام بالدراسات المستقبلية، مختلف المجالات».

«الانسانية تحلم دائماً بمستقبل افضل. والانسان دائم التأمل لاحتمالات المستقبل، للبحث عن مخارج جذرية للمشاكل المتفاقمة التي تواجهه حالياً ومستقبلاً. مشاكل اجتماعية لا يجد لها حلاً، وتناقضات سياسية، وتعقد في تركيب العمليات الاقتصادية والعلمية والثقافية، بالإضافة إلى المصاعب المتزايدة في القدرة على التحكم في المشاكل المتباينة المتنوعة في نفس الوقت».

فالمشاكل التي يواجهها العالم لم تعد مشاكل بسيطة متميزة، بل أصبحت مركبة متشابكة، تواجه العالم بأكمله من ناحية، والأقاليم والدول كل على حدة من ناحية أخرى.

من أبرر هذه المشاكل: "تجنب ويلات غريب يؤذية عالمية، وتأسيس الظروف التي تساعد على قيام العلاقات الدولية على أساس سلمي". ثم التطوير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية لدول العالم، وإيضاً التغلب على أكبر مظاهر الظلم الاجتماعي على سطح الأرض، ونعني بذلك الجوع والفقر. ثم الاستخدام العاقل للموارد الطبيعية، وتطوير وتطبيق سياسة سكانية فعالة، ووضع استراتيجية للحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث الذي يسودها حالياً. وهناك أيضاً مشكلة تطوير التعاون بين الدول في مجال البحث العلمي، بصرف النظر عن التناقضات السياسية والأيديولوجية، والاتفاق على أحسن وجه لاستثمار نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية. وأخيراً، مشاكل التعليم والصحة.

حل مثل هذه المشاكل بطريقة فعالة، يقتضي تصافراً وتركيزاً في جهود ممثلي العديد من العاملين في ميادين النشاط البشري، بما في ذلك العاملين في مجال الفلسفة، والتي عن طريقها يمكن أن تحدد رؤية الخاصة للعالم، والأسلوب الذي يمكن أن نتبعه لتناول ودراسة المشاكل العالمية، وتقييمها بمفهوم انساني.

التبؤات المتشائمة

وأهم ما يؤكد عليه د. فرولوف - على عكس ما يقدمه معظم علماء الغرب - هو أنه وإن كانت مشاكل العالم تتسحب على البشرية جمعاء، إلا أن ذلك لا يعني عدم ارتباطها بمضمون اجتماعي وطبقي. وهو يعيب على

معتقني الفكر البرجوازي تجريداتهم المخلة ، وعدم التفاتهم - عن وعي أو بلا وعي - لأهمية البعد الاجتماعي - السياسي .

وهو يرى أن نجاح أكثر المخططات العلمية والتكنولوجية كمالاً ، يعتمد على الرؤية المحددة للواقع الاجتماعي ، الذي تطبق عليه . ومثل هذه المخططات الناجحة ، قد تخيب إذا ما استخدمت لعلاج المشاكل ، واقعاً سياسياً واجتماعياً مخالفاً لذلك الذي وضعت من أجله .

إلى هذه الحقيقة ينسب غرولوف السر في ظهور تنوع عريض من التنبؤات المتشائمة في المجتمعات البرجوازية . وكمثال على هذا ، يشير إلى كتاب «خيبة أمل في التقدم» لمؤلفه آرون ، أو إلى محاولات الوصول إلى حلول متفائلة بطرق تتضمن وتشرط تجميد التطور البشري ، كما في حالة جهد د . ميدوس وزملائه «حدود للنمو» ، الذي يطرح فكرة التوقف من النمو في الانتاج وفي النمو السكاني .

وهو يعقد مقارنة بين جهد علماء المستقبل في الدول الرأسمالية ، ونظرائهم في الدول الاشتراكية ، فيقول إنه عند النظر إلى المشاكل العالمية ، وعند التصدي لوضع الاستراتيجيات الكفيلة بحلها ، يعتمد «ماركسيون على رؤيتهم الجدلية وإطارهم الفكري الكامل في النظر إلى مشاكل العالمية ، من حيث طبيعتها السياسية والاجتماعية ، وأيضاً من حيث الطبيعة الانسانية للعلوم والتكنولوجيا والثقافة والأخلاق . ويرى الماركسيون بوضوح الجذور التاريخية للمشاكل العالمية ، كما يتنبهون إلى الدور الذي لعبه تطور الانتاج والعلوم والتكنولوجيا في تعميق المشاكل

الراهنه . وهم يدركون في نفس الوقت أن هذه المشاكل بطبيعتها لا تشكل كارثة ، وأنها قابلة للحل تماماً . وحلهم النهائي لشبكة المشاكل الراهنة يعتمد على أساس من العدالة الاجتماعية ، الذي يتحقق - في رأيهم - عند تطبيق علاقات المجتمع الشيوعي .

الامكانيات المحدودة للدول الاشتراكية

يتحدث فرولوف عن الوضع الحالي للبلاد الاشتراكية ودورها في حل المشاكل الراهنة ، ثم ضرورة التعاون الدولي لحل هذه المشاكل ، فيقول :

.. واليوم ، وبالرغم من الامكانيات المادية والعلمية التكنولوجية المحدودة للبلاد الاشتراكية فإنها تبذل غاية جهدها لحل المشاكل العالمية ، بطرق تنبع من الطابع الانساني لهذه المجتمعات الجديدة . ومع ذلك ، فالمشاكل العالمية الراهنة ، بطبيعتها الخاصة ، تستلزم تضافراً في الجهود ، ليس فقط على المستوى الدولي والاقليمي ، ولكن على المستوى العالمي . وهذا بالتحديد هو السبب في أن الدول الاشتراكية تسعى إلى تطوير اساليب التعاون الدولي المناسبة ، بما في ذلك التعاون مع الدول الرأسمالية .

«فاليوم ، تزايد بشكل كبير نطاق النتائج غير المرغوبة للتطور الصناعي ، وتضاعفت حدتها ، واصبحت لا تمس دولة بعينها أو اقليماً بعينه ، بل ينسحب أثرها على العالم بأكمله . . كما أن التهديدات المتزايدة الناجمة

عن الفشل في حل هذه المشاكل ، تتطلب اجراءات مناسبة عاجلة ، وبدون هذا فإن تعاقب الوضع المراهن قد يؤدي إلى كارثة ، ويصل بالعالم إلى اوضاع مأساوية . . لقد اصبح التصور الواقعي لمستقبل الجنس البشري اشتراطاً ضرورياً لتنظيم مسار التقدم ، وانقاذ مصير البشرية . وقدرة البشرية على مواجهة مصادر التهديد المراهنة ، التي تؤثر بشكل حتمي على مصيرها ومستقبلها ، تتوقف على سبيل التطور الذي ستمخضاره .

تبرير اخطاء المجتمع الرأسمالي

ثم ينتقل فرولوف بعد ذلك إلى استعراض وطرح أهم الجهود التي بذلت في انحاء العالم للتنبؤ العلمي بالمستقبل ، وهو يحاول أن يكون موضوعياً في نقده لكل محاولة من هذه المحاولات .

ومع تباين رأيه في التنبؤات والدراسات التي تجري في السدول الرأسمالية ، إلا أن نقده لها يتبع من مثاليته ، وعدم اعتبارها للابعد الاجتماعي والسياسي للمشاكل التي تتحدث عنها ، وهو يرى فيها محاولات لتبرير اخطاء المجتمع الرأسمالي ، وتزيين صورته ، واعطائه دفعة جديدة تطيل من أمد وجوده ، اكثر منها محاولات واقعية لعملية للبحث عن الجذور الحقيقية لهذه المشاكل ، والتي تنبت في أرض تناقضات المجتمع الرأسمالي .

وهو يبدأ استعراضه الشامل الجاد لجهود التنبؤ بالمستقبل والبحث عن حلول للمشاكل المراهنة ، يبدأ هذا باستعراض المنشور البابوي الأول ، فيقول :

«البابا يوحنا بولس الثاني في منشوره البابوي الأول، تحست عنوان «خلاص البشرية» يدعو الكنيسة أن تستجيب بتعاطف مع المثل العليا البشرية عند انسان العالم الحالي، وأن تركز جهودها على ما هو محدد وتاريخي. في ذلك المنشور، يناهز البابا، مع اقتراب بداية الالف سنة الميلادية الثالثة، بضرورة التوصل إلى سبب ذلك الاحساس المتزايد لدى الانسان بالخوف. والتوصل إلى تفسير لظاهرة تعرض الانسان لخطر ناشئ عن ثمار عمله، يهدد كيانه المادي والروحي. وكان من المتوقع أن يشير البابا يوحنا بولس الثاني بعد ذلك إلى الاسباب «الاجتماعية - السياسية المحددة والتي ينبع منها ذلك الخطر، لكنه يكتفي بمجرد ابداء ملاحظة يذكر فيها أن الهياكل والمخططات المالية والتقنية والانتاجية والتجارية التي يعتمد عليها اقتصاد العالم، فشلت في التغلب على مظاهر الظلم الاجتماعي الموروثة من الماضي، كما فشلت في مواجهة المشاكل والاحتياجات الخلقية الجديدة، والتي يتزايد مدى الحاجة . . .»

وفي مواجهة تلوث البيئة، وتصاعد المواجهة المسلحة، وخطر افناء الجنس البشري والعالم من جراء سباق انتاج الاسلحة الدرية والهيدروجينية والنيوترونية، وغيرها من آلات الدمار الجماعي، يدعو البابا إلى الالتزام بأصول وقواعد تضع حداً لهذه المأساة، وتنتهي في نفس الوقت التصخم والبطالة، وما ينتج عنهما من تحلل خلقي. يعقب فرولوف قائلاً: كيف يمكن أن يتحقق هذا؟، إن اجابات البابا، التي جاءت مسهبة للغاية لا يرد فيها اكثر من ذكر «مبادئ التضامن» كمصدر استيحاء عند

البحث عن انسب اشكال المؤسسات والنظم والمخطط العقلانية العادلة،
والقول بالبحث عن انسب الطرق لتغيير اسس الحياة الاقتصادية، بما
يؤدي إلى «تغيير في العقل والروح».

ويرى فرولوف أن هذا البرنامج المجرد جداً في توجهه
الاجتماعي - السياسي، يستند اساساً إلى الفكرة الانسانية العامة
للمسيحية، والتي تنادي بتغيير «جوهر الانسان»، كركيزة لكل التغيرات
الاجتماعية الاخرى. ويقول إن هذه الفكرة نجد لها اليوم تنويعات علمانية
عديدة، وبصفة خاصة نجد لها انعكاساً واضحاً في تقارير «نادي روما».
وفي رأيه أن هذه الفكرة لا تزيد - في أغلب الاحيان - عن مجرد واجهة
انسانية، لاعتذار عملي عن مستقبل العلاقات الرأسمالية.

المدن الفاضلة

هذا التوجه، يبدو واضحاً في اكثر من «مدينة فاضلة» غربية، يتم
تخطيط ابعادها انطلاقاً من وجهة نظر «التفؤل التكنوقراطي»، ويجري فيها
الحديث عن مجتمعات ما بعد المجتمع الصناعي، الامر الذي نجده في
كتاب «المائتا سنة القادمة، سيناريو لأمريكا والعالم». الذي وضعه
هـ. خان بالاشتراك مع آخرين. والكتاب ينلدي باجراء بعض التحويرات
المستقبلية على المجتمع الرأسمالي، مما يوحي بأن العالم سيسير مستقبلاً
على نفس النهج الذي سارت وتسير عليه الولايات المتحدة الامريكية.
نفس التوجه نجده في الدراسات المجمعة التي ظهرت بعنوان «أوروبا

٢٠٠٠ ، والتي تمت تحت اشراف الاستاذ ب. هول. كما جرت في عام ١٩٨٠ محاولة للتنبؤ العلمي بمستقبل المشاكل العالمية ، «الجنس البشري عام ٢٠٠٠» ، وذلك لكي تقدم إلى رئيس الولايات المتحدة الامريكية .

هذه الدراسة لا تحاول أن تتنبأ بما سيحدث بشكل محدد ، لكنها تصف الظروف التي يمكن أن تنشأ ، إذا لم تحدث تغيرات جوهرية في السياسات الحكومية ، أو في معدل التطورات التكنولوجية ، وإذا لم تنشب حروب جديدة ، أو تطراً تغيرات حادة في المجتمع الدولي . وما توصلت إليه هذه الدراسة من استخلاصات ، رغم أنها تمت من وجهة نظر من قاموا بها ، تعتبر غير مواتية إلى أبعد حد . وهي تجري تعديلات جوهرية على العديد من التنبؤات السابقة ، التي كانت تسعى إلى استنباط أي مؤشرات نفوذ في مستقبل المجتمع الرأسمالي .

ويؤيد التقرير أن الشواهد المتاحة حتى الآن لا تدع مجالاً للشك في أن العالم ، بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية ، سيواجه في السنوات القادمة مشاكل مركبة . هائلة وعاجلة . . وإن الامر يتطلب تغيرات مباشرة وحازمة في سياسة أمريكا ، حتى يمكن تجنب هذه المشاكل ، أو الحد من تفاقمها ، قبل أن تصبح مستعصية على الحل .

وعندما يحين وقت طرح الحلول ، يتعهد التقرير عن الموضوعية ، ويعود إلى التحدث عن الدوافع الانسانية ، و«التعاون غير المسبوق بين

الأفراد، والمشاركة الجماعية» ، وغير ذلك مما يعتمد بالحديث عن أرضيته العلمية الواقعية .

العصا السحرية

ونفس القول ينسحب على التقرير الأمريكي الذي جرى وضعه عام ١٩٨٩ تحت عنوان «مستقبل الأرض : حاد وقت العمل» ، والذي يعلق عليه فرولوف قائلاً «ولا يمكن انكار ما في هذا التقرير، وما في غيره، من موضوعية، وصدق في المعلومات، إلا أن الاستخلاصات التي يصل إليها علماء التنبؤ العلمي البرجوازيون، تتفق دائماً مع وضعهم الطبقي، وتجيء بحيث تخدم كنوع من الاعتذار عن اخطاء الرأسمالية الحالية والمستقبلية» .

وبشكل عام، يرى فرولوف أن علماء التنبؤ العلمي بالمستقبل في العالم الرأسمالي يبحثون عن استخلاصات جديدة تساعد على البحث عن دور للرأسمالية في الالف الثالثة للميلاد . فرغم أنهم يتحدثون كثيراً عن ضرورة اجراء تغييرات جوهرية في هيكل النظام الرأسمالي ، إلا أنهم جميعاً يحكمهم هدف ملح ، هو تجنب البديل الاشتراكي . يقول فرولوف «إن الاستخلاصات المستقبلية للمصلحين البرجوازيين يقدم فيها التطور العلمي والتكنولوجي كملاج لكل الشرور، وكمصا سحرية، من المفترض أن تستطيع الرأسمالية بمساعدتها أن تحظى بدفعة جديدة، دون أن تضطر إلى تغيير طبيعتها . واساطيرهم المستقبلية تتحول الى اعمال مثيرة تطيح

منها الملايين ، وتستلهمها اعمال الخيال العلمي والافلام السينمائية والبرامج التليفزيونية في العالم العربي . . وكلها تسعى الى ابهار الافراد ، وتوجيههم ، واعلاء امالهم ، او إلى مجرد تسليتهم

أي أن هذه المحاولات من جانب علماء المستقبل في الغرب ، يبدو أنها تسعى إلى هدف عام ، هو اثبات أن التقدم العلمي والتكنولوجي - بصرف النظر عن النظام الاجتماعي الذي يتم في إطاره - يضع الإنسانية في مواجهة التحدي المشترك من أجل البقاء . وكنيجة لهذا فإن الفروق بين الرأسمالية والاشتراكية من المفترض أن تختفي . الامر الذي ينادي به آلعين توفلر ، وهو ما سنعود إلى طرحه بتوسع ، بعد أن ننتهي من تقديم وجهة نظر العلماء الماركسيين في مستقبل العالم ، وفي جهود علماء المستقبل في الغرب .

تقارير نادي روما

ويرى فرولوف أن نفس هذا التصور ، أو ما هو قريب منه ، تنسم به التقارير التي قام بها علماء المستقبل ، والتي صدرت عما عرف باسم «نادي روما» . فالعامل المشترك في هذه التقارير ، عند بحث أزمة ، مثل أزمة التكديس السكاني ، أو أزمة البيئة ، أو موارد الطعام والطاقة والمواد الخام ، هو النظر إليها كعناصر في أزمة عامة شاملة تواجه تطور العالم كله ، دون محاولة بحث الطبيعة الاجتماعية - السياسية لهذه الظواهر . وهكذا تتجاهل هذه التقارير الاحتمالات الاجتماعية - السياسية للتعلم على هذه الازمات .

ولقد اقترحت جماعة فورستر وميدوس ، في التقرير الأول لنادي روما ، سياسة «تجميد النمو» ، مما يعني الحد من مستويات الانتاج ، ومن معدل استهلاك الموارد الطبيعية ، كوسيلة لتجنب الاوضاع التي تهدد البشرية . وكان من رأيهم أن مثل هذا الاجراء من شأنه أن يحقق حالة من الاستقرار طويل المدى . في هذا يقول فرولوف «إذا أتى هذا الهدف خارج اطار برنامج اجتماعي - سياسي محدد ، ينجح في تنظيم وتوجيه الجنس البشري في بحثه عن تطوره ، فسيبقى هذا الهدف كمجرد مدينة فاضلة ، أو حلم ينقصه الاساس العملي» .

و «النظام العالمي» الذي اقترحه ميدوس مع زملائه ، أشارت نواقصه انتقاد العلماء الماركسيين وغير الماركسيين . فسياسة تجميد النمو التي يقترحها للنظام العالمي ، تتضمن في حقيقة الامر اقتراح ابقاء الوضع على ما هو عليه ، بكل ما فيه من مظالم وعدم مساواة . ذلك لأن التقرير لا يعلق على الفوارق في مستويات التطور الاجتماعي - الثقافي ، لا في المجتمعات الرأسمالية بين الطبقات ، ولا في الحياة الدولية بين الدول النامية والدول الرأسمالية الصناعية .

تدارك الاخطاء

والنماذج العالمية التالية لنادي روما ، جاءت لتستدرك النقد الذي وجه إلى النموذج الأول . وهي تتضمن تقرير «الجنس البشري عند نقطة التحول» الذي قام به ميزاروفيك وبيستيل ، و«اعادة تشكيل النظام العالمي» الذي تقدم به تينبرجين . ثم ذلك النموذج الذي قدمته مجموعة من العلماء

اليابانيين بإشراف الأستاذ كايا تحت اسم «التوتر العالمي، ورؤية جديدة للتطور». وهناك نموذج آخر قامت به مجموعة من علماء أمريكا اللاتينية تحت إشراف هيريرا وقد تركز أساساً على وسائل الاقتراب من المشاكل العالمية للدول النامية.

أما التقرير الذي ظهر بعد ذلك باسم «أهداف للجنس البشري»، والذي قامت به مجموعة من العلماء تحت إشراف لازلو، فقد جاء ليعبر عن الحاجة إلى إعادة بناء النظام الموضوع حالياً لأهداف ومعايير التطور الاجتماعي.

وتلاه النموذج الذي تقدم به دكتور جابور مع عدد من الزملاء تحت اسم «ما بعد عصر التبدد». وفيه يتأمل امكانيات التقدم البشري بشلوم أقل، ودون انكار احتمالات المزيد من النمو الاقتصادي والعلمي والثقافي. وهو يتميز عن غيره من النماذج التي سبقت، والصادرة عن علماء «نادي روما»، بأنه يدخل في اعتباره الاختلافات الحالية في مستويات التطور الاقتصادي والسياسي والثقافي لمختلف دول العالم. ولينبدأ باستعراض النموذج الأول من نماذج «نادي روما».

النمو العضوي

نموذج ميزاروفيك وبيستيل يقدم ما يسمى بالنمو العضوي، والذي يعتمد على عملية البناء المتكامل، وليس على الزيادة الكمية غير المتكاملة. وهما يقدمان باستعارة مظاهر النمو في الكائن الحي، عند تأمل

نمو «النظام العالمي» ، وبخاصة مبدأ التخصص في الاجزاء المختلفة، مع تحقق مبدأ الاعتماد الوظيفي المتبادل بين هذه الاجزاء في نفس الوقت . ومما يشجعهما على الاخذ بهذه الاستعارة، التأثير المتبادل لللازمات، مثل ازمة السكان، والبيئة والطعام، والطاقة، والمواد الخام. . وذلك التبادل الذي يصنع في محمله الازمة العالمية الشاملة .

ويرى فرولوف في هذا خطوة ايجابية إلى الامام، لأن مبدأ «النمو العضوي» ينبع من الاعتراف بتنوع الاجزاء والمناطق في العالم، وبالتبعة تنوع الاوضاع الدولية . إلا أنه ينتقد صاحبي التقرير بالنسبة لصفة التجريد التي تسود. والاقتراحات والحلول ذات الطابع الطوباوي المثالي، التي يقصد بها حل المشاكل الحالية والمستقبلية .

من امثلة ذلك، ما يوصيان به من تغيرات عامة في العلاقات الاجتماعية والفردية عن طريق اقامة نظام تعليمي جديد يناسب القرن الحادي والعشرين وأن يكون الموضوع الاساسي في هذا النظام، هو تدريس كل ما يتصل بالجنس البشري والخبرة البشرية . ويرى فرولوف في مثل هذه الاقتراحات نوعاً من مجانية الراقع وبعداً عن الامكانيات الفعلية، ويرى أن مرجع ذلك إلى أن التقرير يستبعد الرؤية الطبقيّة، عند النظر في المشاكل المطروحة .

ونفس هذا القصور ينسحب على التقرير الذي وضعه تينبرجين تحت اسم «اعادة تشكيل النظام العالمي» ، وإن كان فرولوف يرى في هذا التقرير بعض الجوانب الايجابية، مثل ما تم اقتراحه لتغيير العلاقات

الاقتصادية الدولية، ومثل اشارته إلى ضرورة نزع السلاح، وتحويل الجهد العسكري إلى أغراض سلمية.

الاشتراكية أسرع في التطور الاقتصادي

ورغم أن مشروع علماء أمريكا اللاتينية باشراف الاسناد هيريرا، يتضمن تحليل مشاكل المستقبل بطريقة تتضمن الاعتراف بالعوامل المركبة للأزمة الحالية، إلا أنه يقسم العالم إلى دول «غنية» ، ودول «فقيرة». ومصدر اعتراض دكتور فرولوف على هذا، هو أنه يضع الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية في كفة واحدة. وإن كان يوافق على ما جاء في التقرير من اعتبار المجتمع «اشتراكياً بالضرورة» ، وأن السبيل إلى تحقيق هذا يتم من خلال «تغييرات جذرية في النظام الاجتماعي للعالم، وفي المنظمات الدولية» ، بهدف تخليص العالم من التخلف والقهر.

ويبدي فرولوف تقديراً خاصاً للتقرير الذي يحمل اسم «مستقبل اقتصاد العالم» ، والذي قام به العالم الأمريكي ليونتييف، الحاصل على جائزة نوبل، بالاشتراك مع فريق من الباحثين، وبتمويل من الأمم المتحدة. وهو يرى أن ليونتييف أكثر واقعية من علماء نادي روما، فالنموذج الشامل للنظام الاقتصادي العالمي الذي يقترحه، يقضي تقسيم العالم إلى ١٥ منطقة، ثلاث منها تشمل الدول الاشتراكية أي أنه يفرق في التصنيف وفي اقتراح الحلول بين الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية.

وقد ذكر ليونتييف في تقريره أن الاشتراكية أثبتت حتى الآن أنها أكثر

قدرة على القيام بمعدلات اسرع في التطوير الاقتصادي ، مما يجعل بإمكانها أن تحل العديد من المشاكل التي ما زالت تستعصي على الحل في العالم الغربي ، ويرى ليونتييف أن المستقبل سيحمل إلينا مزيداً من نصيب الدول الاشتراكية في الانتاج العالمي .

ومع هذا ، ينتقد فرولوف التقرير قائلاً «إن الحلول الاقتصادية والتنظيمية التي يقترحها المؤلف للتغلب على الهوة بين الدول المتطورة والدول النامية ، أو على الأقل الحد من هذه الهوة ، لا ترتبط بأي اطار اجتماعي - سياسي محدد . فهو لم يوضح بشكل محدد أي الطبقات ، ومن بين هذه الطبقات ، سيتكفل بانجاز الاقتراحات التي وضعها لحل مشاكل التطور العالمي . . . » .

المهم هو الجنس البشري

ومن بين التقارير المختلفة المتتالية التي صدرت عن علماء «نادي روما» ، يشيد فرولوف بالأفكار التي جاءت في التقرير المسمى «ما بعد عصر التبيد» ، الذي قام به العالم جابور مع عدد من الزملاء . فهو يرى أن هذا التقرير أكثر اقتراباً من الجوهر الفعلي للمشاكل .

يقول تقرير جابور إن مواجهة المصاعب الحالية في التطور العالمي لا تتوقف على امكانيات العلم والتكنولوجيا ، بل على قدرة الجنس البشري نفسه ، وكذلك على قدرة الحكومات المختلفة ، على تطوير اهداف سياسية واجتماعية ، واستنباط مؤسسات وآليات ، يمكن أن توجه مسار

إنجازات العلم والتكنولوجيا التوجه التي تحقق توافقاً وانسجاماً في التطور الاجتماعي.

ويرى جابور أن قصور المؤسسات الاجتماعية، والتنظيم الاجتماعية - الاقتصادية، هو المسئول عن التبدد غير الجائر، ليس فقط في الموارد الطبيعية للملكة الأرضية، بل في الموارد المادية والبشرية أيضاً. ومن بين الأسباب التي يعزو إليها جابور هذا التبدد، ما يجري من تأكيد شديد على الحافز الاقتصادي، الذي يؤدي إلى كفاح متواصل لزيادة الاستهلاك، ولا يساهم في التقدم الاجتماعي، أو التطور المتجانس للمجتمع والفرد.

ويرى جابور أن رفض مثل هذا النظام المؤدي إلى التبدد، والانتقال إلى نظام تطور اجتماعي - اقتصادي أكثر توازناً، يفترض مسبقاً عملية جهرية ضخمة، لاعادة تشكيل المؤسسات القومية والدولية، ويفترض اجراء تحسينات في نظام اتخاذ القرارات، وفي استخدام الموارد المادية والبشرية. ويفترض في نفس الوقت تغييرات في اسلوب الحياة، ومراجعة للاهداف الاجتماعية - السياسية، ثم اعادة ترتيب اولويتها.

ومع الاستحسان الذي يبديه فرولوف لتقرير جابور، إلا أنه يعود فينتقد التقرير متسائلاً، «ولكن... كيف يمكن لهذا أن يتحقق؟». التقرير لا يقدم اجابة واضحة، ويفترض أن هدف المجتمعات الجديدة، التي يمكن اصلاحها وفقاً لما جاء في التقرير، يجب أن يكون التحسين المستمر في طبيعة الحياة، وخلق الانسجام بين الطبقات الاجتماعية، وبين الشعوب،

وبين الافراد. ورغم ان وصوله إلى هذا كله، لا يجيء عنده من خلال
اشتراطات محددة، إلا أنه يلفت النظر إلى دور العوامل
الاجتماعية - الاقتصادية في حل المشاكل العالمية، اليوم وفي المستقبل.
والنقيصة التي في هذا الطرح، تتركز في ما يبيده من تأكيد على ضرورة
إحداث التغييرات في «خامه» الانسان. بينما يكون من المستحيل أن يتم
ذلك، دون اجراء تحولات اساسية في البيئة الاجتماعية - الاقتصادية التي
يعيش فيها. . . !!

الفصل الثامن

بين المستقبل الرائع . .
والهاوية السحيقة !

استعرضنا فيما سبق المشروعات والتقارير والدراسات التي قدمها علماء المستقبل في العالم الرأسمالي . . في الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وأوروبا واليابان ، كما طرحنا وجهة نظر العالم السوفييتي دكتور إيفان فرولوف في هذا كله .

وقد دار نقد فرولوف لهذه الجهود حول أمرين ، أولهما أن علماء العالم الرأسمالي يتحدثون عن العلم والتكنولوجيا وكأنهما العلاج الشافي لكل مشاكل العالم ، وثانيهما أنهم ينظرون إلى التقدم العلمي والتكنولوجي بمعزل عن الأرضية الاجتماعية - السياسية التي يجري فوقها . وهو يرى أن هدف هؤلاء العلماء - الضمني أو المعلن - هو تبرير أخطاء المجتمع الرأسمالي ، والاعتذار بالعلم والتكنولوجيا عن مواجهة الأمر الواقع اجتماعياً ، وعن محاولة إعادة النظر في طبيعة النظام الرأسمالي المسئول - في رأيه - عن المشاكل التي يتزايد تعقدها يوماً بعد يوم ، في الغرب ، وفي العالم كله .

وعند نقد دكتور فرولوف للتقارير والدراسات التي قام بها علماء العالم الرأسمالي في إطار ما يطلق عليه «نادي روما» ، قال إن الاقتراحات المطروحة لعلاج المشاكل العالمية تتسم بالتجريد الشديد ، والمشالية الممعة ، وإنها لا تزيد على كونها حلماً لمدينة فاضلة ، يصعب تحقيقه في إطار الأمر الواقع العالمي .

وفي نهاية استعراضه هذا، يركز فرولوف على أحدث التقارير التي صدرت عن «نادي روما»، وهو التقرير الذي نشر تحت اسم «خريطة لطرق المستقبل»، وقام به العال بوجدان هافريليشين، مدير المعهد الدولي للإدارة. يقول فرولوف إن هذا التقرير يختلف عما سبقه من تقارير نادي روما، في انتباهه إلى الحقائق الاجتماعية - السياسية للعالم، ولذا فهو يعتبره علامة من علامات التحول، الذي يتمثل في الانتقال مباشرة من إهمال الرؤية الاجتماعية، إلى الهجوم المباشر على الاشتراكية والنظام السوفيتي.

في مقدمة هذا التقرير يشرح هافريليشين اهتمامه التحليلي الأكبر في تصديه لموضوع المشكلات العالمية، يعني بذلك الوظيفة المؤثرة للتركيب الاجتماعي. وهو يرى أن هذه الوظيفة تشكل نتيجة للتفاعلات المتبادلة بين ثلاثة مكونات: مجموعة القيم التي يتمسك بها مجتمع ما، وأشكال تنظيماته السياسية، وطبيعة نظامه الاقتصادي.

وفي الفصل الأول من هذه الدراسة، يختبر المؤلف كل واحد من هذه المكونات بشكل أكثر تحديداً، وكذلك يسلط الضوء على التفاعلات المتبادلة التي تجري ويقرر أن هذه التفاعلات، هي المسؤولة عن تحديد مدى فعالية أي نظام اجتماعي في حل المشاكل التي تواجهه.

في حديثه عن أنماط القيم التي تبني عليها مختلف النظم الاجتماعية، يميز هافريليشين ثلاث مجموعات مؤثرة رئيسية لكنه لا يقول أي هذه المجموعات تكون مصيرية في تحديد فعالية المجتمع. ويكتفي بالقول أن تفاعلها المتبادل هو الذي يحدد مدى فعالية أي نظام اجتماعي.

النظام العالمي

ويدعو المؤلف - بناء على ما جاء في تحليله - إلى فكرة إنشاء نوع من «النظام العالمي» العام، الذي يسمح تركيبه للبشرية أن تواجه بنجاح، كلاً من المشاكل العالمية الحالية، والمشاكل التي من المحتمل أن تظهر مستقبلاً. وهو يؤمن أن مثل هذا «النظام العالمي» يجب أن يقوم على مبدأ التعاون، وأن يتخلى عن مبدأ «عبادة السيادة» من جانب الحكومات، وأن يتكرر نمطاً خاصاً من «التلاقي» بين مختلف النظم الاجتماعية.

وعند تعرضه لمشاكل إقامة «النظام العالمي» الذي يدعو إليه، يقدم المؤلف عدداً من وجهات النظر الإيجابية الناضجة، مثل دعوته إلى إنهاء سباق التسلح، وإقامة أشكال طبيعية من التعاون بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة. لكنه عندما ينتقل إلى طرح الأساليب والطرق الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف، يورد من التصورات، ما لا يمكن أن يوصف إلا بأنه تدخل في الشؤون الداخلية لبعض الدول.

وهذا هو ما يستثير دكتور فرولوف، فهو يقول إن المؤلف عندما تصدى للأوضاع في الاتحاد السوفييتي، نادى «تحويل» في النظم الاجتماعية السائدة فيه. كما أنه - أي المؤلف - دعا إلى إعادة تنظيم الأوضاع الاشتراكية لعدد من الدول، على ضوء الأهداف التي حددها للنظام العالمي الذي يقترحه.

إلا أن فرولوف يعود ويسجل لحساب المؤلف، أن التحليلات التي قام

بها قاداته إلى استخلاص مفاده أن المقاييس والمعايير القائمة حالياً ليست كافية أو مناسبة، عند التصدي للمشاكل العالمية الراهنة، والمستقبلية.. كما قاداته الى ضرورة التوصل إلى استنباط معايير أكثر تكاملاً، وأكثر تركيباً، تصلح لهذه المهمة.

التعايش السلمي

هذا هو بعض ما يعلق به دكتور فرولوف على الدراسات الأخيرة التي تصدرت لحل المشاكل العالمية الراهنة والمستقبلية، والتي تمت على أيدي العلماء الممختصين في الدول الرأسمالية.. فما هي الرؤية التي يطرحها هو في هذا المجال؟.. وهل تتوفر فيها صفتا الموضوعية والواقعية اللتان يفتقدهما في دراسات علماء الغرب؟

يقول دكتور فرولوف عضو أكاديمية العلوم السوفيتية، وأستاذ الفلسفة:

«لقد أصبح الجانب الأكبر من الجنس البشري واعياً بحقيقة أن التقدم العالمي الشامل لم يعد ممكناً في ظل الحصار البرجوازية، حتى بعد أن أدخلت عليها بعض اللمسات الإصلاحية ومحاولات التجديد، ولسكن دون أن تتخلى عن علاقات الملكية الخاصة. وما زالت قدرة الرأسمالية على خلق المخاطر ذات المدى العالمي، علامة من علامات افتقارها لمقومات النمو والحياة. إن مجرد بقاء هذا النظام الاقتصادي في عالمنا اليوم، لهو في حد ذاته بمثابة تهديد للوجود العالمي بشكل عام.. وحتى عندما عمدت بعض الحكومات الرأسمالية إلى أنماط إصلاحية في

تنظيماتها الاقتصادية، فقد أظهر ذلك بشكل أوضح عدم قدرتها على تعبير الطابع الفوضوي الذاتي للتقدم الرأسمالي بصفة عامة . . .

ويقول فرولوف إن الماركسيين قدموا إجابة علمية على السؤال المتصل بمستقبل الجنس البشري . . . وهي إجابة تدخل في اعتبارها جدة الوضع الذي وصلت إليه الأحوال العالمية، وتقدم حلاً للمشاكل العالمية من خلال خلق مجتمع عالمي جديد. لكنها في نفس الوقت لا تستبعد البحث عن حلول مشتركة لمستقبل الجنس البشري، عن طريق تطوير الأنظمة الاجتماعية المتعارضة، أي بين الاشتراكية والرأسمالية. وهو يقول «لقد ثبت أنه لا يمكن خلق نماذج جديدة للمستقبل، أو إحراء تنبؤات حول أوضاع العالم ونحن ندخل إلى الألف الثالث من الميلاد، إلا إذا اعترفنا بهذه الرؤية».

مشكلة البيئة لأول مرة

ويحاول فرولوف بعد ذلك أن يشرح أسس التفكير الماركسي عند التصدي لحل مشاكل العالم، فيقول إنهم يلتزمون بمنهج مركب يطبق على الموضوع الخاضع للدراسة، منهج يدخل في اعتباره تطور الظاهر والتغيرات التي طرأت عليها، وأبعادها التاريخية زماناً ومكاناً، في إطار التناقضات وصراع الأضداد الذي يحكمها. ويقول إن أسلوب البحث الماركسي يدفع الباحثين إلى الاهتمام بجدلية العلاقات والتأثير المتبادل بين الدولي أو العالمي أو القومي، وبين مظاهر التطور العالمي ونحن على مشارف الألف الثالث للميلاد من ناحية، وبين المظاهر الناتجة عن

التركيب الطبقي لكل مجتمع من المجتمعات.

وتناول الماركسيين لجوهر المشاكل العالمية الحاضرة والمستقبلية، ودور هذه المشاكل في حياتنا، يركز على تحليل المعالم المميزة للتطور العالمي كما هو الآن، ليس فقط على المستوى الاقتصادي، ولكن أيضاً على مستوى العلاقات الاجتماعية - السياسية، وعلى المستوى العلمي والثقافي. وبإختصار فهم يسعون إلى الإحاطة بأوضاع العالم كله، والجنس البشري بأكمله، في نفس الوقت الذي يتوجهون فيه إلى الفرد.

إن مبدأ التوجه موضوعياً نحو التعاون الدولي، على حساب الحدود القومية، هو الذي أعطى العديد من المشاكل التي كانت موجودة قلاً ذلك البعد العالمي، وخلق في نفس الوقت مشاكل جديدة. بعض هذه المشاكل ينشأ من التناقضات المتزايدة الحادة بين نشاطات الإنسان الخلاقة والمتحددة، وبين إمكانية الطبيعة. فلأول مرة في تاريخ البشرية، ظهرت مشكلة تجنب العواقب السلبية للتأثير البشري على البيئة الطبيعية، وأصبحت هذه المشكلة في تفاقمها حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها.

ثم هناك المشاكل الأخرى التي ترجع إلى تزايد عدد سكان الكرة الأرضية، وما يتطلبه هذا من حلول جديدة وعاجلة لمشاكل مصادر الطاقة ومواد الطعام وغير ذلك من المواد الضرورية، مما يقود إلى الاهتمام ببحث أساليب الاستئادة من ثروات المحيط، وإلى المزيد من اكتشاف احتمالات الاستفادة من الفضاء الخارجي.

سؤال الحرب والسلام

إلا أن الأهمية الخاصة تعطى لأسلحة الدمار الجماعي الحديثة، والقادرة على التسبب في كوارث فعلية تؤثر على الحياة فوق سطح كوكبنا. وحلول المشاكل الرئيسية الأخرى، يعتمد على الطريقة التي سنحل بها سؤال الحرب والسلام، الذي كان لا يزال بشكل لب اهتمام البشر في تاريخهم المعروف.

يقول فروولوف «نحن الماركسيين نفهم تماماً أن التقدم التاريخي ليس طريقاً ممهداً ناعماً، أو مساراً سهلاً واسعاً، لكننا نؤمن بأنه سيحيى الوقت الذي يتحقق فيه قول ماركس: إن التقدم البشري لن يصبح بعد الآن كما كان من قبل، شبه بصنم وثني بشع، لا يشرب الرحيق إلا من جماجم ضحايا»...

ويشرح فروولوف موقفه، فيقول إن التحليل الفلسفي الماركسي لمشاكل العالم ينبع من افتراض أن حلول هذه المشاكل عملياً وعلمياً يتطلب مستوى عالياً من الإنسانية والمسئولية، يناسب الطبيعة الخطرة لهذه المشاكل، ويناسب الوضع المعقد الذي سيصل إليه الجنس البشري إذا ما فشلت جهود حل هذه المشاكل. ثم يقول «وهذا هو ما يدعونا إلى القيام بتحليل نقدي للنتائج التي يصل إليها المصلحون البرجوازيون، عندما يرددون تعبيرات العالمية، ويطرحون نماذج النظام العالمي، ويقدمون أفكارهم الإنسانية في أنحاء العالم، ويتكلمون عن وحدة الضمير

العالمي . . إلى آخر هذه التعبيرات التي يتكرر ترديدها هذه الأيام في العالم الغربي ، والتي تقدم إلينا كبرهان على التقاء مفترض بين الرأسمالية والاشتراكية ، وتحض على تناول المسائل تناولاً غير أيديولوجي ، وتدليلهم على أن المشاكل العالمية بطبيعتها ، فوق الطبقات والمجتمعات والقوميات . . .

الحيل الدعائية

ويواصل فرولوف طرح وجهة النظر الماركسية في اجتهادات علماء الغرب فيقول «إذا ما نظرنا إلى ما يمكن أن يطلق عليه «المؤشرات الاجتماعية - السياسية» لتفسير البرجوازي فيما يتصل بمشاكل العالم ، سنجد أنه في أساسه : تبرير للميول التوسعية التي يتسم بها الاستعمار ، ذلك التوسع الذي يسعى منظرو الغرب إلى تقديمه لنا باعتباره الأداة التي تقودنا إلى «المجتمع العالمي» الذي تخفي فيه كل المشاكل العالمية . على هذا الضوء يبدو لنا التوسع الاستعماري ، والذي يخدم رؤوس الأموال العملاقة ، قد تخفى وتشكر على شكل مساهمة في «التقدم الاقتصادي» ، أو «النشاط الاقتصادي» ، لحساب «الرخاء العام للبشرية» . أما محاولات الاحتكارات الأمريكية في تطوير وسائل الاستفادة من المواد الطبيعية لحسابها ، فهي تقدم إلينا على أنها طريقة لحل مشاكل العالم في مجال الطاقة والمواد الخام . كذلك ، عندما ينقلون العمليات التكنولوجية الخطيرة على البيئة من الدول الصناعية إلى الدول النامية ، يقولون إنهم بذلك يسعون إلى «التغلب على الفروق في مستويات التطور

الاقتصادي»، أو أنها إحدى طرقهم في حل المشاكل البيئية، وحتى في مجال السباق على التسلح، والذي تصعده الجماعات الاحتكارية لصناعة السلاح في العالم الغربي، يقدم إلينا على أنه من اشتراطات تحقيق الأمن العالمي الشامل...»

ويعلق فرولسوف قائلاً إن مثل هذه الحيل الدعائية لا يمكن أن تنجح في إخفاء المعنى الحقيقي لنشاطات رأس المال الاحتكاري العالمي. والنتائج المتحققة لنشاطه تقدم دليلاً مقنعاً على أنها أبعد ما تكون عن تقديم حلول للمشاكل العالمية، وأنها في واقع الأمر تعمق هذه المشاكل وتجعلها أكثر حدة. ثم يقول «علينا تذكر أنه بسبب جدة الموضوع، وصفته الاستثنائية، فإن مواجهة العديد من المشاكل العالمية، ومحاولة وضع حلول لها، يعتمد بلا مناص على مدى النجاح في إعادة تركيب طرق الإدراك، وفي خلق أنماط جديدة من التفكير. وهذا يفترض مسبقاً إعادة بناء العادات والمفاهيم المستقرة، الأمر الذي يصعب الوصول إليه، حتى عندما تتوفر النية، ويشدد العزم على استجلاء كل هذه المشاكل...».

العامل الاجتماعي

الفكرة الأساسية التي يركز عليها فرولسوف هي أن دراسة العديد من الأزمات المعاصرة، تؤكد أن العامل الاجتماعي هو الأساس الذي يكمر خلف هذه الأزمات في الدول الرأسمالية، متمثلاً في وجود الملكية

الخاصة لادوات الإنتاج . . وهو يقول مفسراً : إن الكفاح المستميت من أجل الربح ، بعد أن أصبح هدفاً في حد ذاته ، انفصل عن الأهداف الأكثر أهمية ، كالتطور الاجتماعي ، والطموح البشري ، والعقل ، وكل اقتراب عاقل من تحقيق المصالح الاجتماعية للبشر . وهكذا . . بينما تحرص المجتمعات القائمة على الملكية الخاصة أن تبدو بمظهر القادر على التطوير السريع للعلم والتكنولوجيا ، نرى هذه المجتمعات غير قادرة على إدارة ما تتوصل إليه من إنجازات في هذا الصدد . . بل إنها هي المجتمعات التي حولت العلم والتكنولوجيا إلى نوع من التهديد الرهيب لنفسها ، وللطبيعة بشكل عام . . .

تناقضات جديدة

ويرى دكتور فرولوف أن المشاكل العالمية التي تواجهنا قد أصبحت أكثر إلحاحاً نتيجة للتناقضات التي تتبع من المجتمع البرجوازي نفسه ، ويعني بذلك الخصومات الاجتماعية والقومية . وتحول هذه المشاكل في بعض الأحيان إلى مأس ، هو النتيجة الطبيعية لتعميق التناقضات في ظل الرأسمالية ، تناقض المصالح الخاصة لأصحاب المشاريع الاقتصادية مع مصالح الطبقات العريضة من العمال ، وتناقض نمو الاقتصاد والثقافة في المجتمع البرجوازي ، مع نتائج هذا النمو التي يتضاعف ضررها على الآخرين . . وبشكل أعم تناقض احتياجات التطور البشري مع أهداف المجتمع البرجوازي غير الإنسانية .

وهو يؤمن أن هذه التناقضات هي مصدر الروح العسكرية العدوانية

التي نراها في المدن البرجوازية ، والتي هي السبب الأساسي في سباق التسلح ، والمغامرات الحربية ، ثم هي السبب في الاستخدام المتلف للموارد الطبيعية ، وفي تلوث البيئة . . . وأنها هي سر الهوة الواسعة بين المادية المتنامية في الدول الرأسمالية ، والفقر الذي يشيع في الدول النامية .

واليوم ، يضاف إلى تلك التناقضات المبدئية ، تناقضات جديدة ، تعتبر أكثر دلالة على مصير الحضارة الرأسمالية ، ويقصد فرولوف بذلك ، التناقضات بين الإمكانيات السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والروحية التي يكون عليها أن تنصدي للمشاكل والمخاطر العالمية الجديدة ، وبين عجز الرأسمالية عن الاستفادة من هذه الإمكانيات . فمع الإجراءات الواسعة الشاملة التي يتم اتخاذها في الدول الصناعية الرأسمالية لمواجهة عدد من المشاكل العالمية ، فإن ثمار ونتائج هذه الإجراءات أكثر تواضعاً بكثير من إمكانيات هذه الدول التكنولوجية والاقتصادية ، والأدهى من ذلك ، أن هذه الإجراءات لا تقوم على أساس برنامج تطوير اجتماعي - اقتصادي شامل وطويل المدى . ويرى فرولوف أن مرجع ذلك إلى أن الرأسمالية بطبيعتها ليس لديها مثل هذا البرنامج . وليس بمقدورها أن تضعه .

الحل الكامل والنهائي

ومن ناحية أخرى، يطرح فرولوف أسلوب التصدي لهذه المشاكل في الدول الاشتراكية فيقول: «... وهذا هو السبب في أن الماركسيين عندما يتصدون لوضع استراتيجيات التنمية، وتكتيكاتها المرحلية، بهدف وضع حل عملي للمشاكل العالمية، يتجهون إلى خبرات التطبيق الاشتراكي القائمة... إنهم يدرسون كل الأبعاد الحالية للمشاكل العالمية، في إطار تناقضات عصرنا الأساسية...».

«ومع التفهم الكامل من جانب الماركسيين للمصادر التاريخية المتصلة بالمشاكل العالمية، والدور الذي لعبه تطور النشاط الإنتاجي والتكنولوجي والعلمي في تعميق هذه المشاكل إلا أنهم لا يعتبرون هذه المشاكل ذات طبيعة فتاكة وجالية للكوارث، بل يعتبرونها قابلة تماماً للحل. والحل الكامل والنهائي لهذه المشاكل يكون ممكناً فقط في وجود قواعد اجتماعية مناسبة، وبالتحديد في إطار المجتمع الشيوعي...».

ومع ذلك، يعود فرولوف ليقول إن حل هذه المشاكل أصبح صعباً ومعقداً للغاية، بسبب اتساع نطاقها التاريخي الذي بلغته، والذي لم يسبق له مثيل. ويشرح قائلاً إنه لأول مرة في التاريخ ينسج نطاق تأثير هذه المشاكل ليشمل الكرة الأرضية بأكملها، بكل ما فيها من مناطق ودول. ولا يمكن التصدي لحل إحدى هذه المشاكل بمزول عن باقيها. على سبيل المثال، لا يمكن القضاء على الجوع والفقر بدون المزيد من إنتاج البضائع والطعام، وأيضاً بغير سياسات سكانية فعالة، كما أن حل هذه

المشاكل يعتمد بدوره على النجاح في سياسة الوفاق، ونزع السلاح، التي ستوفر مصادر اقتصادية هائلة، ويعتمد على إجراء تغييرات في العلاقات الاقتصادية للعالم، وعلى المزيد من استثمار ثروات المحيط، وقهر الفضاء الخارجي حيث يمكن للإنسان أن يوسع مجال استثماره الطبيعية.

إبتكار مناهج جديدة

وهو يرى أن المشاكل الجديدة في نوعيتها لا يمكن حلها باستخدام الوسائل والمناهج التقليدية، والتي تم اختبارها تاريخياً بشكل عملي. وهذا يبين الحاجة الملحة إلى ابتكار أساليب جديدة تناسب المشاكل الجديدة. ويقول إن المبدأ القائل بأن التناقضات العالمية لا يمكن التغلب عليها بجهود غير منسقة تقوم بها بعض الدول، قد أصبح مقبولاً على أوسع نطاق، وهذا يفيد أن الحاجة تشد إلى استراتيجية شاملة متكاملة، يلتزم بها الجنس البشري بأكمله.

ومع ذلك، فإن تطوير مثل هذه الاستراتيجية سيتم في وضع لا يتجانس فيه البشر، من حيث التقسيم الاجتماعي والطبقي وفي ظل الفوارق المتزايدة في التنمية الاقتصادية والسياسية والثقافية، كما أنه سيتم على أسس متباينة، وغالباً متناقضة، من التوجهات الأيديولوجية والروحية، التي تعبر عن المصالح الخاصة بالطبقات، والقوى الاجتماعية المختلفة. وكنتيجة لهذا، أصبح مجرد البحث عن استراتيجية متكاملة أحد

مجالات الصراع الرئيسية، على نطاق الافكار والنظريات. كما أنه بالصراع السياسي، الذي ستحدد نتائجه أي الاتجاهات الايديولوجية، والاهداف الاجتماعية، والاولويات السياسية ستحكم ما يطرأ من تناقضات عالمية، وأي قوى طبقية سيتم هذا تحت قيادتها، وأي البدائل الاجتماعية والطبقية المطروحة في هذا المجال الحيوي ستسود.

وحدة المظاهر الاجتماعية والعلمية

والاسس النظرية التي يقترحها الماركسيون تعتمد على فهمهم لاساس طبيعة المشاكل العالمية ودلالاتها. ويقول فرولوف إن هذا الفهم ينبع من وعيهم بوحدة المظاهر الاجتماعية والعلمية لهذه المشاكل، وإنهم يربطون عضويًا بين التناول العلمي وبين ما يتصل به من فهم سياسي عملي وهم بذلك يطرحون المشاكل العالمية من خلال علاقاتها الجدلية، والصلة القائمة بينها، وتطورها من وجهة النظر التاريخية التي تحدد مستقبل الجنس البشري.

يقول فرولوف «ونحن إذ نفعل هذا، فإننا نبني تناولنا على افتراض أنه على عكس «تخطيط المستقبل» النابع من منهج المصلحين البرجوازيين، والذي يعتمد غالباً على اختيار مجموعة من المؤشرات القسرية، بصرف النظر عن مدى أهمية كل من هذه المؤشرات، فإن المنهج الماركسي يؤكد على إخضاع المؤشرات ذات الصلة الوثيقة بالموضوع، والمشاكل ذات الطابع العالمي، لترتيب متدرج خاص تراعى فيه الاولويات، اعتماداً على

طبيعة العلاقات السببية القائمة بينها في الواقع ، وفقاً لمدى السرعة المطلوبة في حلها . » .

مشكلة الإنسان

في هذا الإطار، يبدو ممكناً تحديد مجموعات خاصة من المشاكل العالمية، والتي تؤدي أساليب حلولها إلى تحديد أوضاع العالم في مطلع الألف الثالث للميلاد بشكل حاسم وفعّال. وهي تتضمن مثل هذه المشاكل:

● العلاقات بين الكيانات الاجتماعية الأساسية للبشر اليوم وهذا يعني العلاقات بين النظم الاجتماعية - الاقتصادية وبين الحكومات، والعلاقات بين الطبقات والدول التي تضمها، وما يترتب على ذلك من مشاكل، مثل السلام ونزع السلاح، والتنمية الاجتماعية، والنمو الاقتصادي، والعمل والعمالة.

● العلاقات بين الإنسان والمجتمع، والتي تتطور بطبيعتها إلى علاقات اجتماعية، وإن كانت تظل في نفس الوقت محتفظة في أكثر أوجهها بالعنصر الفردي. وتتضمن المشاكل الإنسانية الناتجة عن تطور العلوم والتكنولوجيا والتعليم والثقافة، ثم مشاكل النمو السكاني ومشاكل تطور الإنسان في المستقبل.

● العلاقات بين الإنسان والطبيعة، وما يستتبعها من مشاكل الموارد الطبيعية، ومصادر الطاقة والبيئة وإمدادات الطعام، والتكيف البيولوجي

للإنسان . وهذه المجموعة من المشاكل لا تكون أيضاً بمعزل عن العوامل الاجتماعية . وواقع الأمر أن مثل هذه المشاكل لا يمكن التوصل إلى حل لها ، إلا بعد النظر إليها من خلال أرضيتها الاجتماعية .

والملاحظ أن العديد من المشاكل الواردة في المجموعتين الأولى والثانية ، تعتمد إلى حد بعيد على تنوع من العوامل الطبيعية ، وهذا هو بالتحديد ما يدعو إلى تناولها مجتمعة ، نتيجة لأنها تشكل نظاماً عصوياً متكاملًا من المشاكل التي تؤثر على بعضها البعض ، والتي يستقر في قلبها جميعاً مشكلة الإنسان نفسه ، ومستقبله وهو يقترب من الألف الثالث للميلاد .

بين المستقبل الرائع والهاوية

في ختام كتاب «المشكلات العالمية ومستقبل الجنس البشري» ، يقول دكتور إيمان فرولوف :

«هناك مستقبل رائع ، بلا حدود ، ينتظر الإنسان والجنس البشري ، إذا ما ساد وانتصر حكم العقل والانسانية ، وبالمثل ليست هناك حدود للهاوية التي يمكن أن يتردى فيها الإنسان والجنس البشري ، إذا ما انتصرت قوى الشر والتخريب . . وهذا هو السبب في أن تحليلنا لبدائل التطور العالمي ، لا يستند فقط إلى تفؤلنا التاريخي ، ولكنه يدخل في اعتباره الشكوك الواقعية ، والاحساس بالخطر والمسئولية في نفس الوقت . . .»

«لكن هذا كله يجب أن يحثنا على أن نشرع في إجراءات نشيطة ، أكثر

من أن يشعرونا بخيبة الأمل . ولن يصل بنا إلى هدفنا المنشود عالمياً، سوى النشاط الهادف لحل المظاهر الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية والإنسانية لمشاكل عالم اليوم، والحل النهائي لهذه لن نصل إليه بشكل فعلي إلا عندما نتناول هذه المظاهر بطريقة متكاملة .

.. ولكن .. ١

باختصار وبساطة، ماذا يقول المفكر الماركسي إيفان فريولوف؟
يقول إن الماركسيين أكثر تفاؤلاً من علماء الغرب الرأسمالي فيما يتصل بمستقبل العالم سنة ٢٠٠٠ .

ومن أين ينبع هذا التفاؤل؟، من عقيدتهم الراسخة بأن كل هذه المشاكل ستختفي عندما تتحول الدول الرأسمالية إلى دول اشتراكية . .
من الناحية النظرية، يبدو هذا مقنعاً، فلا خلاف أنه عندما ينتهي الصراع بين الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية، ويتوقف سباق التسلح، ستتاح للبشرية إمكانيات هائلة، تحيل عالم اليوم بكل مشاكله وآسيبه إلى نعيم مقيم .

وهذا يعني أن علماء المستقبل في الغرب يرون أن حل مشاكل العالم يتحقق إذا قامت الدول الاشتراكية بتعديلات وتحويرات في نظامها الاجتماعي، يُسمح لها بأن تتعايش مع النظام الرأسمالي . . وعلماء المستقبل في العالم الاشتراكي يرون أن حل هذه المشاكل رهين بتحول

الدول الرأسمالية إلى دول اشتراكية ، الأمر الذي يعتبرونه حتمية تاريخية لا
مناص منها . .

لكن هل يتحقق هذا النعيم الأرضي فعلاً إذا عم التطبيق الاشتراكي
أنحاء العالم ؟ . . وماذا عن التناقضات الراهنة بين كبريات الدول
الاشتراكية ؟ . . وماذا عن عامل المصالح القومية الذي ما زال يفعل فعله
في هذه الدول ؟ . .

وحتى بفرض أن هذه التناقضات ناشئة عن النفوذ الضاغط للأنظمة
الرأسمالية والذي يتزايد يوماً بعد يوم ، وأنها ستختفي عندما تسود
الاشتراكية أنحاء العالم . . فماذا نفعل إلى أن يحين ذلك ؟ . . وهل نسمح
لنا المواجهات الذرية والنووية والهيدروجينية بالوصول إلى ذلك الحلم
الجميل ؟ . . ثم ، وهذا هو الأهم ، ماذا نفعل في السنوات التي تفصل بيننا
وبين القرن الحادي والعشرين ، وهي قليلة ، لكي نندارك الخطر المخلق
بالبترية ؟ . . .

المراجع

- (1) ENCOUNTERS WITH THE FUTURE,
M. CETRON & T. O'TOOLE - McGRAW-HILL.
- (2) GLOBAL PROBLEMS AND THE FUTURE OF
MANKIND, IVAN FROLOV - PROGRESS PUBLISHERS.
- (3) TOWARDS 2000,
RAYMOND WILLIAMS - PELICAN.
- (4) THE FIFTH GENERATION,
E FEIGENBAUM & P. McCORDUCK - PAN.

المحتوى

صفحة	
٥	مقدمة
٧	الفصل الأول: رؤية المستقبل معرفة وخيال
٢٧	الفصل الثاني: مصائر الدول عند نهاية هذا القرن
	الفصل الثالث: الشرق الاوسط، نصف بترول العالم، ونصف التوتر العالمي
٤٥	الفصل الرابع: آسيا وأوروبا... إلى أين؟
٦٥	الفصل الخامس: حرب... أم سلام؟
٨١	الفصل السادس: المارد النووي... يخرج من القمقم
٩٩	الفصل السابع: المستقبل... في عيون الاشتراكيين
١١٩	الفصل الثامن: بين المستقبل الرائع... والهاوية السحيقة!
١٣٩	المراجع
١٥٩	

رقم الإجازة : ٨٧/٢٩٨٥

تاريخ العمل : ٨ - ٩٧٥ - ١٤٢٥ - ١٤٢٧

المستقبل بين الشرق والغرب

- الدولتان الألمانيةتان تتوحدان في عام ١٩٩٥
- المؤسسة التي نشأت بسقوط الشاه وباصطرابات بولندا
- لا حرب نووية شاملة خلال السنوات العشرين القادمة
- الشرق الأوسط نصف يزول العالم ونصف التوتر العالمي
- الجنس الروماني أصبح أقلية في الاتحاد السوفياتي
- إسرائيل أكثر الدول عدم استقرار في الشرق الأوسط
- هناك مستقبل رائع بلا حدود ينتظر الجنس البشري

